

الدواوين على عهد الخليفة

مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ



تأليف

محمود حمد محمود النعيمي

**الدواوين على عهد
ال خليفة معاوية بن أبي سفيان**

٤١ - ٦٠ هـ / ٦٦٠ - ٦٧٩ م

■ دراسة حضارية ■

د. محمود حمد محمود النعيمي

الناشر

المكتب العربي للمعارف

عنوان الكتاب : الدواوين على عهد الخليفة معاوية بن أبي
سفيان

اسم المؤلف : دكتور/ محمود حمد النعيمي

تصميم الغلاف : شريف الغالي

جميع حقوق الطبع والنشر
محفوظة للناشر

الناشر

المكتب العربي للمعارف

٢٦ شارع حسين خضر من شارع عبد العزيز فهمي

ميدان هليوبوليس - مصر الجديدة - القاهرة

تليفون/ فاكس: ٠١٢٨٣٣٢٢٢٧٣-٢٦٤٢٣١١٠

بريد إلكتروني : Malghaly@yahoo.com

الطبعة الأولى ٢٠١٥

رقم الإيداع : ٢٣٤٥٣ / ٢٠١٤

الترقيم الدولي : I.S.B.N. 978-977-276-811-3

جميع حقوق الطبع والتوزيع مملوكة
لِلناشر ويحظر النقل أو الترجمة أو
الاقتباس من هذا الكتاب في أي شكل كان
جزئيا كان أو كليا بدون إذن خطي من
الناشر. وهذه الحقوق محفوظة بالنسبة إلى
كل الدول العربية . وقد اتخذت كافة
إجراءات التسجيل والحماية في العالم
العربي بموجب الاتفاقيات الدولية لحماية
الحقوق الفنية والأدبية .

الإهداء

إلى.. أبي وأمي الأعزاء
أبي الذي علمني الأيمان بالله تعالى..
وأمي التي علمتني الجد والحزم.
وأفراد عائلتي الذين قبلوا عذري بانشغالي بالبحث وفهموا
الخلل الذي طرأ على صلة الرحم بيننا.
إلى أرواح شهدائنا الأبرار أسأل الله العظيم أن يتغمدهم
برحمته.
وإلى بلدي الجريح الذي أدعو له من الله أن يفرج كربته
ويزيح هممه.
وإلى كل شريف غيور قال كلمة حق وتحدى الظلم
والطغيان.
أهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع.

المؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا
وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ

الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾

صدق الله العظيم

سورة الأنعام
الآية: ٩٦

قائمة المحتويات

| العنوان | رقم الصفحة |
|---|------------|
| المقدمة | ٧ |
| الفصل الأول نشأة الدواوين الإسلامية | ١٣ |
| تمهيد | ١٤ |
| المبحث الأول الدواوين على عهد دولة الرسول محمد (ﷺ) والخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم) | ١٩ |
| المبحث الثاني الخليفة معاوية بن أبي سفيان وحياته | ٣٤ |
| ١ - اسمه ونسبه | ٣٤ |
| ٢ - ولادته | ٣٥ |
| ٣ - وفاته | ٤٥ |
| المبحث الثالث الخليفة معاوية بن أبي سفيان مؤسساً لدولة بني أمية | ٤٨ |
| الفصل الثاني | ٥٧ |
| المبحث الأول مفهوم الديوان لغة واصطلاحاً | ٥٨ |
| المبحث الثاني الدواوين العسكرية على عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان | ٦١ |
| ١ - ديوان الجند. | ٦١ |

| | |
|-----|--|
| ٦٥ | ٢- نظام الشرطة. |
| ٧٨ | ٣- ديوان البريد. |
| ٨١ | ٤- جهاز العيون والجواسيس (الاستخبارات العسكرية). |
| ٨٢ | ٥- القضاء. |
| ٩١ | الفصل الثالث الدواوين المالية والإدارية على عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان |
| ٩٢ | المبحث الأول: ديوان الخراج |
| ٩٨ | المبحث الثاني: ديوان الخاتم |
| ١٠٣ | — الدواوين العامة |
| ١٠٣ | أ- ديوان الرسائل |
| ١٠٥ | ب- ديوان الطراز |
| ١١٣ | الخاتمة |
| ١١٧ | نظرة في بعض المصادر والمراجع |

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف المرسلين محمد
(ﷺ) الذي بعثه الله بالهدى والحق ليدمغ الباطل فإذا هو زاهق قال تعالى ﴿بَلْ
نَقَذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ﴾ (١٨) ، أن
لكل امة تاريخ يصنعه رجالها لتزوها بهم وتفتخر الأمة قال تعالى ﴿وَنُرِيدُ أَنْ
نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (٢) .

ولقد شهد تاريخنا العربي الإسلامي رجالا أكثر خدموا أمتهم الإسلامية
العربية وقدموا لها الكثير من العطاء وعلى كافة المستويات إذا أكملوا مسيرة
الرسول (ﷺ) بعد أن وضع لهم الأسس الأولى للدولة العربية وخلفوه في قيادتها
فكانوا خير خلف لخير سلف وعملوا بكل قوة وعلى قدر ما استطاعوا لتشييد هذا
البناء الجبار حتى جعلوا منه صرحا شامخا نباهي به العالم. أن الرجال الذين
اخذوا على أنفسهم العهد لبناء هذا الصرح لم يكونوا سياسيين أو إداريين أو قادة
عسكريين فحسب بل كانوا نبراسا يحمل كل مبادئ القيم الإنسانية لقد كانوا كنور
الفجر يغزوا الظلمات يدفعهم دينهم وحماسهم ليعطوا كل ما ملكوا لخدمة الأمة
العربية الإسلامية وبذل كل غالي نفيس لها وحفظ لهم التاريخ بحروف سطرها
لذكراهم الخالدة ماشيدوا وعملوا وظلت أسماؤهم لامعة ليستنير بها من يأتي من
بعدهم وعلى أي مؤرخ يدرس أي حقبة تاريخية أن يتصف بالموضوعية
والحيادية ويكتب بكل صدق خصوصا إذا كان الموضوع حساسا كان يكون

(١) سورة الانبياء، الآية: ١٨.

(٢) سورة القصص، الآية: ٥.

متعلقا بشخصية أو أمور إدارية لها وزنها وثقلها السياسي إداريا كان العمل أو اجتماعيا أو سياسيا.

ومن هنا جاءت دراستنا لل خليفة معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه) وتحديدًا لأهم الجوانب الإدارية والحضارية، هذا الخليفة الأموي الذي قاد الدولة العربية الإسلامية لما يقرب العشرون عاما مركزين على أهم الجوانب الإدارية تاركين المجال للباحثين ليكملوا ما بدأتاه وليكتبوا عن جوانب مهمة كالجوانب الفكرية أو الأعمال العمرانية أو الحضارية والذي دفعني لاختيار هذا الموضوع هو الاهتمام بأحد خلفاء الرسول (صلى الله عليه وسلم) والاهتمام بالجوانب الإدارية على عهده والافتقار إلى وجود دراسة تبحث أعماله الإدارية رغم أنها لم تكن تخفى على المؤرخين المتقدمين فقد تناولتها أقلامهم وحوت سطورهم أوراقهم في عهد الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) تطلب الكيان السياسي نفقات تصرف على الأفراد وتجهيز المقاتلة للدفاع عن الإسلام وقد أوجد الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) نظام الغنائم وتقسيمها حسب أصول الدين لتنظيم الأمور المعيشة والعسكرية والإدارية وقد سار على هذا النهج الخلفاء الراشدون (رضي الله عنهم) وأوجد أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) بيت المال والذي منه كان يصرف على المقاتلة والأمور الاجتماعية .

لقد ادخل الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) نظام الدواوين لترتيب الأمور الإدارية وتوزيع الأموال توزيعا عادلا وحفظ أسماء المقاتلة وحصر أسماء المولودين والوفيات وإن الفتوح الإسلامية هي التي دفعت عمر والخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم) على هذا العمل.

وبعد استلام الخليفة معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه) إدارة الدفة وأصبحت بيده كان هذا الرجل يملك من الحكمة والدهاء والخبرة الإدارية نتيجة ممارسته لها منذ أن كان واليا على الشام فقد تعلم الكثير من الأمور والحنكة وتحكيم العقل وموازنة المعادلات السياسية فقد عمل على تنظيم الأمور الإدارية فكيف لا وهو

الذي صاحب الرسول محمد (ﷺ) وتلقى على يديه العلم والحلم فقد كان كاتب الرسول (ﷺ) وملازم له لقد اهتم معاوية منذ فترته المبكرة بديوان الجند واعتبره الدعامة الأساسية لقوة الدولة ورد الأعداء عنها واهتم بالشرطة ووجه اهتمامه بالبريد على اعتباره ملازما للمؤسسة العسكرية مهمته معرفة الأخبار ومتغيرات الأمور ووجه الاهتمام بجهاز العيون لحفظ الأنظمة الداخلية وكشف ورصد تحركات العدو ومخططاته كما اهتم بالنظام المالي ووضع ديوان الخراج والخاتم مهمة الخراج كانت إضافة مورد مالي للدولة وتحسين ورفع المستوى الاقتصادي والخاتم انشيء بسبب تزوير حصل وأراد منه معاوية منع التلاعب بكتبه وكذلك اهتم الخليفة معاوية بأمور الناس العامة وقام باستحداث ديوان الرسائل وذلك لأنه أراد معرفة إخبار الأقاليم أولا بأول حيث كان يرسل رسائله إلى الولاية في الأقاليم للاطلاع على مستجدات الأمور أولا بأول وكذلك من أعمال ديوان الرسائل أن الخليفة كان يرسل قادة جنده عند المعارك إضافة إلى مراسلة الدول المجاورة الأخرى .

لقد كان معاوية يتمتع بالأبهة وحب الظهور كنتقليد ارتضاه فانشأ ديوان الطراز ليباهي نفسه وجنوده أمام الفرس والروم. ولقد تناولت هذه الجوانب المصادر القديمة والمراجع الحديثة والذي زاد في الجهد هو استعانتنا بمصادر أجنبية وكذلك لقد استعنا بالمكتبات العامة والمكتبات الشخصية ولانخفي جهد أصحابها الذين قدموا لنا كل مساعدة وتسهيل أمر عن طيب نفس وفي المقدمة أستاذي الدكتور مزاحم علاوي الشاهري وقد عانينا من ضيق الوقت وتقسيمه وقلة المصادر التي تناولت هذا الموضوع وندة وجودها وهنا تكمن لذة البحث وهنا تظهر الجهود رغم ذلك لازلنا نقرا ونكتب ونحيي الأمل مستعينين بقوة الله. لقد قسمت بحثي إلى ثلاثة فصول ففي الفصل الأول تناولنا نشأة الدواوين الإسلامية وعن أسباب نشأتها وكيف كان نظام الرسول محمد (ﷺ) في

تعامله مع الغنائم والخراج وكيفية توزيعها وفيما أنفقت وتناولنا الخلفاء الراشدون (رضي الله عنهم) الذين ساروا على نهج قدوتهم النبي محمد (ﷺ) وعن أهم الذين استلموا مناصب لتوزيع الأموال. وتناولنا عن كيفية وصول الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى دفة الخلافة وتأسيسه لدولة بني أمية واشرنا إلى مفهوم الديوان لغة واصطلاحاً وعن ابرز من عمل فيها بصورة سريعة.

وفي الفصل الثاني تطرقنا عن اسم معاوية ونسبه وولادته وحياته قبل وبعد الإسلام وعن صحبته لرسول الله (ﷺ) وعن أهم صفاته إلى وفاته. وكذلك تناولنا الدواوين العسكرية على عهده أخذنا ديوان الجند ومهامه وبرز من ولي عليه في عهد معاوية وكيف كان لهذا الديوان صدى كبير للدولة الإسلامية وتناولنا نظام الشرطة (العسس) في زمن الرسول محمد (ﷺ) وتحدثنا عن نظام الشرطة في عهد الخليفة معاوية وتناولنا ما كان لإفراد الشرطة من واجبات وتحدثنا عن قوة الحرس من غير الشرطة وكيف هذه القوة ساندت الشرطة وانضمت لها وتحدثنا عن العرفاء ومكانتهم إضافة لذلك تحدثنا عن صاحب الاستخراج أو العذاب وجهاز الحسبة ومهمة من تولاها وتحدثنا عن نظام المراقبة.

وتناولنا ديوان البريد على اعتباره من الدواوين العسكرية وكيف كان ينقل الرسائل بين القادة في الحروب ومساعدة المقاتلين وتحدثنا عن أهم من تولاه وتناولنا جهاز العيون أو الجواسيس (الاستخبارات العسكرية) وكيف كان هذا الجهاز يجمع المعلومات الدقيقة والسرية عن الأعداء ويوصلها إلى الخليفة للقيام بإجراء اللازم.

أما الفصل الثالث فقد تحدثنا فيه عن الدواوين المالية والإدارية كديوان الخراج وديوان الخاتم وبيننا مهام كلا منهم وبرز من تولى هذين الديوانين في عهد معاوية وكيف كان لهذه الدواوين أثرها على الدولة. وتحدثنا عن الدواوين

العامّة ديوان الرسائل وديوان الطراز وبيننا مهام هذه الدواوين. إضافة لذلك تناولنا بعض الدواوين التي نشأت بعد معاوية وكانت على درجة من الأهمية وكذلك تناولنا الدواوين وماذا حصل لها من تطور بصورة سريعة ومختصرة خلال فترة العصر العباسي الأول والثاني.

وفي النهاية أتمنى أن أكون قد وفقت في هذا البحث ولو بجهد متواضع وبسيط لتوضيح الأمور الإدارية. والله ولي التوفيق.

الفصل الأول

نشأة الدواوين الإسلامية

قال تعالى ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلَيِّنَ﴾ (٣)، وقال تعالى ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَفْجَارِ لَفِي سِجِّينَ﴾ (٤)، والقصد من عليين وسجين من أسماء الديوان لأنه تكتب فيه أعمال الأبرار والافجار (٥)، ادخل عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) نظام الدواوين بعد أن أشار عليه بذلك احد مرازبة (٦)، الفرس وذلك بعد أن توالت الفتوح الإسلامية وأثرت الدولة بما ملكته من كنوز الفرس ورأى عمر (رضي الله عنه) توزيع هذه الأموال على المسلمين ولذا دون الدواوين (٧)، والديوان عند علماء اللغة مجتمع الصحف والكتاب يكتب فيه أهل الجيش وأهل العطية (٨)، فالديوان يعني السجل الذي تدون فيه أسماء المستفيدين من العطاء وهو يعني أيضا المكان الذي يحفظ فيه هذا السجل (٩)، وقد ذكر أن استحداث عمر (رضي الله عنه) لهذا الديوان انه جاءته أموال كثيرة من البلاد المحررة فتحير كيف يوزعها فأشار الناس في ذلك فقال له رجل من القوم: يا أمير المؤمنين دُون الناس دواوين فاشتهدى عمر (رضي الله عنه) ذلك وفي

(٣) سورة المطففين، الآية: ١٨.

(٤) سورة المطففين الآية: ٧.

(٥) محمد سيد طنطاوي، كتاب التفسير الوسيط، (مصر: د: ت)، ص ٤٤٦.

(٦) المرازبة: مفردها مرزبان وتعني الفارس الشجاع المقدم على القوم دون الملك، محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري، لسان العرب، ج ١، ط ١، (بيروت: د: ت)، ص ٤١٧.

(٧) حسن ابراهيم حسن وعلي ابراهيم حسن، النظم الإسلامية، ط ١، دار النهضة المصرية، (القاهرة: ١٩٣٩)، ص ٢١٥.

(٨) هاشم يحيى الملاح، الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة، ط ١، دار الكتب العلمية (بيروت: ١٩٩٠)، ص ٣٥٥.

(٩) احمد بن يحيى بن جابر البلاذري، فتوح البلدان، تحقيق: رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية (بيروت: ١٤٠٣هـ)، ج ١؛ الملاح، الوسيط، ص ٣٥٥ - ٣٥٦.

رواية قال له رجل: إني قد رأيت هؤلاء الأعاجم يدونون ديوانا يعطون الناس
علية فقال: فدون الديوان^(١٠) أقام عمر (رضي الله عنه) الديوان على ثلاثة أسس:

١. درجة القرابة من رسول الله (ﷺ).

٢. السابقون الأولون في الإسلام.

٣. درجة الجهاد والبلاء والشجاعة.

واستمر العمل بهذه الأسس ردحا من الزمن^(١١)، كان عمر (رضي الله عنه) من
فضلاء الصحابة قال بحقه الرسول محمد (ﷺ) عندما ذهب عمر (رضي الله عنه) للعمرة
((يا أخي لاتنسنا في دعائك)) ولم يغب عن غزوة غزاها رسول الله هذا من
فضل عمر (رضي الله عنه) وتوقيع النبي عن فضله^(١٢).

نشأت الدواوين نتيجة لحاجة العرب إلى التنظيم العسكري والمالي
والإداري^(١٣) وكذلك بفضل اتساع رقعة الفتوح والتي دفعت عمر (رضي الله عنه) إلى
التفكير لوضع نظام لإحصائها وتوزيعها ويعد الديوان نقلة نوعية في مسار
تطور الدولة ونموها فقد أضاف إليها الكثير وهو أول أشكال الإدارة العربية
الجديدة^(١٤)، ولا بد أن نذكر بأنه كان هناك نوعان من الدواوين النوع الأول
((مركزية)) أنشأها العرب المسلمون وتستعمل فيها اللغة العربية والنوع الثاني
((محلية)) وهي استمرار للدواوين الموجودة في السابق حيث كانت تستخدم فيها
اللغات الأجنبية حيث كتبت في الشام باللغة اليونانية وفي العراق باللغة الفارسية

¹⁰ (يعقوب بن حبيب بن ابراهيم الانصاري أبو يوسف، الخراج، ط٢، المطبعة السلفية، (القاهرة: ١٣٥٢)،
ص٤٣؛ وينظر محمد سهيل طقوش، التاريخ الإسلامي الوجيز، ص٩٢.

^(١١) رواية احمد في المسند (١٩/١).

^(١٢) إسماعيل بن عمر ابن كثير، البداية والنهاية، ط١، (بيروت: د ت)، ج٨، ص٣١٢.

^(١٣) حسن إبراهيم وآخر، النظم الإسلامية، ص١٥١.

^(١٤) أبو يوسف، الخراج، (د ن: د ت)، ط٢، ص٤٢-٤٧؛ طقوش، التاريخ الإسلامي،
ص٩٢.

وفي مصر باللغة القبطية إلى أن عربت في عهد عبد الملك بن مروان وابنه الوليد^(١٥) إضافة إلى ذلك فقد قام عمر (رضي الله عنه) بإنشاء بيت المال وذلك لحفظ الأموال الفائضة من أعطيات الجند وموارده المتعددة^(١٦) وكانت من الموارد المتعددة في ذلك الوقت هي (الزكاة - الجزية)^(١٧) لقد كانت الدواوين في الأمصار مشابهة لديوان المدينة ولا بد أن نذكر بأنه كان هناك عدة دواوين منها ديوان البصرة وديوان الكوفة وديوان آخر في الشام وهكذا^(١٨)، ولقد كان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أول من دون الدواوين وكتب الناس على قبائلهم وفرض لأهل بدر وفضلهم على غيرهم وفرض للمسلمين على أقدارهم وتقدمهم في الإسلام^(١٩)، وكان عمر (رضي الله عنه) يتحرى الأمور ويختار ولاية أموره وكان يتقصى أعمالهم وأخبارهم ويحاسبهم بكل دقة وحزم واشتهر كتاب عمر (رضي الله عنه) وولاته بالأمانة والكفاءة^(٢٠) كان عمر (رضي الله عنه) خبيراً بمعادن الرجال ويدرك أكثر من غيره ما يتمتع به الرجال من الدهاء والحلم^(٢١) والمعروف أن عمر (رضي الله عنه) كان همه

(١٥) حسن إبراهيم وآخر، النظم الإسلامية، ص ١٥١-١٥٢.

(١٦) طقوش، التاريخ الإسلامي، ص ٩١-٩٣.

(١٧) الزكاة: هي الحصة المقدرة من المال التي فرضها الله للمستحقين وتطهر صاحبها من المعاصي؛ ابن منظور، لسان العرب، ج ١١، ص ٤٧٨.

الجزية: هي الضريبة التي تؤخذ من أهل الذمة في نهاية الحول؛ أبو بكر الجزائري، منهاج المسلم، (المدينة المنورة: د.ت)، ص ٤٥٦.

(١٨) محمد ابن سعد، الطبقات الكبير، تحقيق: أوجين منوخ، ج ٣، (د.ن: د.ت)، ص ٣٠٠؛ البلاذري، فتوح البلدان، ج ١، ص ٤٣٦؛ الملاح، الوسيط، ص ٣٥٦.

(١٩) ابن سعد، الطبقات، ص ٤٠١.

(٢٠) عبد الشافي محمد عبد اللطيف، العالم الإسلامي في العصر الأموي، ط ١، دار الاتحاد التعاوني للطباعة (مصر: ١٩٩٦) ص ١٥.

(٢١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١١، ص ٤١٦.

الاهتمام بأحوال رعيته وبحث شكواهم ومعاناتهم والنظر في احتياجاتهم وطلباتهم كان قدوة في العدل وتحقيق المساواة ونصرة المظلوم والمغلوب^(٢٢).

يقول الجهشيارى: عن سبب تدوين عمر (رضي الله عنه) الدواوين ((كان عمر أول من دَوَّن الدواوين من العرب في الإسلام وكان السبب في ذلك أن ابا هريرة قدَّم عليه بمال من البحرين فلقي عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فقال له عمر (رضي الله عنه): ماذا جئت به؟ قال: خمسمائة ألف درهم فقال عمر (رضي الله عنه): اتدري ما تقول؟ قال: نعم مئة ألف درهم ومائة ألف درهم ومئة ألف درهم ومئة ألف درهم ومئة ألف درهم قال عمر اطيب هو قال: لا ادري فصعد عمر (رضي الله عنه) المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال يا ايها الناس قد جاءنا مال كثير فان شئتم كلناه كيلا وان شئتم نعد عدا فقام رجل فقال: يا أمير المؤمنين قد رأيت هؤلاء الأعاجم يدونون ديوانا لهم فقال: ((دونوا الدواوين))) ولما أمر عمر (رضي الله عنه) الفيرزان حضره وبعث بعثا له فقال له هذا البعث قد اعطيت اهله الأموال فان تخلف منهم رجلا أو اخل بمكانه فما يدري صاحبك وأشار عليه بالديوان وفسره وشرحه فوضع عمر (رضي الله عنه) الديوان عن الفرس^(٢٣)، يشير البلاذري أن عمر (رضي الله عنه) قد اجمع على تدوين الديوان في شهر محرم منذ سنة ٢٠هـ / ٦٤٠م ورتب لها ووضعها واهتم بها لتكون احدى اشكال الإدارة الجديدة والتي أفادت الدولة العربية الإسلامية كثيرا^(٢٤) ويلاحظ أن الاسم الذي اطلق على هذا التنظيم الناشئ هو الديوان غير انه بمرور الزمن اخذ يعرف طبقا لوظيفته فقليل عنة ديوان العطاء وديوان الجند

(22) محمد سيد الوكيل، الأمويون بين المشرق والمغرب، ط١، دار القلم، دمشق الدار الشامية، بيروت: (١٩٩٥)، ج١، ص٣٠.

(23) الوزراء والكتاب، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، ط١، (القاهرة: ١٩٣٨)، ص٤١٢، ينظر: حسن ابراهيم، النظم الإسلامية، ص٢١٥.

(24) فتوح البلدان، ج١، ص١٣١.

حيث تغير اسمه تبعا لتغير الظروف السياسية والاجتماعية^(٢٥) وقام هذا العمل الجبار بتنظيم عائدات الخلافة وتوزيعها وفقا لجدأول ثابتة ساعدت على تحسين الاوضاع المعاشية وتوفير نوع من النظام الاداري^(٢٦)، لقد ساعد نظام العطاء على تقوية السلطة المركزية وربط الناس بها من خلال تأثيرها على نظام حياتهم ومعيشتهم^(٢٧) والديوان موضوع لحفظ ما يتعلق بأمر السلطنة من الأعمال والاموال ومن يقوم بها من الجيوش والعمال وسرت هذه الدواوين حسب قواعد ثابتة ودقيقة^(٢٨) وسارت الأمور وفق معادلة متوازنة أثبتت وضمنت كافة الحقوق المتعلقة بالدولة الإسلامية بصورة عامة ولافرادها بصورة خاصة^(٢٩).

(25) الملاح، الوسيط، ص ٣٥٥.

(26) طقوش، التاريخ الإسلامي، ص ٩٢.

(27) الملاح، الوسيط، ص ٣٥٦.

(28) حسن ابراهيم، النظم الإسلامية، ص ٢١٥.

(29) خالد بن محمد الغيث، مرويآت خلافة معاوية، ط ١، دار الاندلس الخضراء، (جدة:

٢٠٠٠)، ص ١٧٥.

المبحث الأول

الدواوين على عهد دولة الرسول محمد (ﷺ)

والخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم)

انطلق نظام الرسول محمد (ﷺ) من الآية الكريمة قال تعالى ﴿وَلَا تَسْمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾^(٣٠)، بعد خروج سرية عبدالله بن جحش وهي سرية خرجت على قافلة لقريش وغنمت منهم وقسمت على غرارها الغنائم وقد ذكر بعض آل عبد الله بن جحش أن عبد الله قال لأصحابه أن لرسول الله مما غنمنا الخمس وذلك قبل أن يفرض الله تعالى الخمس من المغنم فعزل لرسول الله (ﷺ) خمس العيير وقسم سائرها بين أصحابه^(٣١)، فكان أول خمس في الإسلام فنزل القرآن ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾^(٣٢) فافر الرسول محمد (ﷺ) فعل عبد الله بن جحش ورضية وسنة للامة إلى يوم القيامة^(٣٣)، لقد تطلب الكيان السياسي نفقات تصرف على

⁽³⁰⁾ سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.

⁽³¹⁾ عبد الملك بن هشام بن ايوب الحميري المعافري، السيرة النبوية، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعيد، ط١، دار الجيل، (بيروت: ١٤١١)، ج٣، ص١٤٨.

⁽³²⁾ سورة الانفال، الآية ٤١.

⁽³³⁾ ابن عبد البر، الدرر في اختصار المغازي والسير، تحقيق: مصطفى أديب البغاء، ط١، دار العلوم الانسانية، (دمشق: ١٩٩٦)، ج٣، ص٩٨.

افرادہ وعلى المتطلبات العامة بما يكفل نموه وازدهاره^(٣٤). وبدأت الحاجة إلى المال منذ المراحل الأولى لظهور الإسلام فالانفاق كان واجبا دينيا على الفرد وليس ضريبة عامة تجبها رئاسة المجتمع^(٣٥)، لقد توفرت في المدينة المنورة كل مقومات الدولة وكان النبي محمد (ﷺ) هو المؤسس الأول لهذه الدولة والحاكم فيها وهو الذي يرجع اليه الأمر في كل الشؤون الدينية والسياسية وغيرها^(٣٦)، وكيف لا ترجع اليه الأمور وهو النبي المختار الذي اختاره الله ليحمل لواء الحق النبي الذي لا ينطق عن الهوى أن اعظم النصر والتأييد لقيها النبي محمد (ﷺ) من الله جل وعلى ومن المؤمنين الذين ناصروه وتحملوا معه المسؤولية في سبيل الدين رغم الضغوطات الهائلة وظل الرسول محمد (ﷺ) وفيا لدينه ولم يكن تحقيق هذه المسؤولية امرا يسيرا وكان الرسول (ﷺ) يشاور اصحابه^(٣٧).

فالإسلام يدعو إلى الاهتمام بالحياة القائمة على الأسس الأخلاقية^(٣٨)، قال تعالى ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾^(٣٩) وحث القرآن الكريم على الكسب الحلال وعدم المبالغة في الانفاق

⁽³⁴⁾ ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٥٦؛ أبو عبد الله بن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: شعيب الارناؤوط وآخر، ط ١، مؤسسة الرسالة، (د.ن: ١٩٦٨)، ص ٤٦.

⁽³⁵⁾ صالح احمد العلي، الدولة في عهد الرسول، مطبعة المجمع العلمي، (العراق: ١٩٨٨)، ص ٣٥.

⁽³⁶⁾ محمد امين بن الشيخ الموريتاني، الرقابة الادارية في العهد الراشدي، ط ١، دار الكتب العلمية (بيروت: ١٩٧١)، ص ٨٠.

⁽³⁷⁾ العلي، الدولة في عهد الرسول، ص ١٠٢.

⁽³⁸⁾ المرجع نفسه، ص ١١٨.

⁽³⁹⁾ سورة الكهف، الآية: ٤٦.

قال تعالى ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾^(٤٠) وكان الاعداد للقتال دفاعا عن الإسلام وحماية دولته وتوسعها واجبا أساسيا كبيرا على الدولة وكان عماد الجيش الرجال المؤمنون الاحرار وكانت الغزوات تتطلب تجهيز بالاسلحة ووسائل النقل وكثرت التبرعات والإنفاق في سبيل الله لأنها لم تكن تكفي فكان على الدولة أن تقوم بدور اساس في تيسير الاسلحة وتنظيم توزيعه^(٤١)، ولم تحاول طائفة أو قبيلة أن تقاوم سلطان الرسول محمد (ﷺ) الا بعث لها النبي (ﷺ) قوة تحملها على الإذعان بدفع الخراج والبقاء على دينها أو الإسلام ودفع الزكاة فرضها الله سبحانه على المسلمين قال تعالى ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾^(٤٢) أما الخراج فيعد من مصادر الدولة المهمة التي لا بد من التركيز عليها لاهمية موارده من الأرض^(٤٣)، كانت الشؤون العامة بعد فتح مكة واسلام اهلها قد بدا يتضاعف خطرها فالبيت الحرام كان بيت العرب المقدس وما يتصل بت من سدانه ورفادة وسقاية ومختلف الشعائر قد اصبح في حكم محمد (ﷺ) لذلك لم يكن من بد أن يدفع المسلمون زكاة العشر وان يدفع العرب الذين اصرروا على جاهليتهم ما يفرض عليهم من خراج^(٤٤)، ولم يكن للاموال ديوان جامع في عهد الرسول محمد (ﷺ) وابي بكر الصديق (رضي الله عنه) كان يقسم المال شيئا فشيئا وأول غنيمة حصل عليها المسلمون كانت بعد معركة بدر

(٤٠) سورة الاعراف، الآية ٣١.

(٤١) سورة البينة: الآية ٥.

(٤٢) العلي، الدولة في عهد الرسول، ص ٣٥٠-٣٥٢-٣٦٠.

(٤٣) نجمان ياسين عباس، تطور الاوضاع الاقتصادية في عهد الرسالة والراشدين، رسالة

ماجستير منشورة، (جامعة الموصل: ١٩٥٨)، ص ١٨٤.

(٤٤) محمد حسين هيكل، حياة محمد، ط ١، دار الكتب العلمية، (بيروت: ١٩٧١)، ص ٣٨٨.

الكبرى^(٤٥)، وبعد انتهاء المعركة وكان النصر لصالح المسلمين^(٤٦)، نزلت الآية الكريمة ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ١﴾^(٤٧).

فقسمها الرسول محمد (ﷺ) على وفاق بين المسلمين وكان وقع خلاف بين الذين جمعوا الغنائم والذين خرجوا لطلب العدو والذين أهدقوا برسول الله (ﷺ) وكذلك غنائم حنين^(٤٨)، التي تم توزيعها بصورة خفيت عن الصحابة ولتوضيح حكمه قال الرسول محمد (ﷺ) ((والله اني لاعطي الرجل وادع الرجل والذي ادعه احب الي من الذي اعطيه ولكن اعطي قوما لما ارى في قلوبهم الجزع والهلع وادع اقواما إلى ما وضع الله في قلوبهم من الرضا والخير))^(٤٩)، حدثنا عفان بن مسلم قال حدثنا شعبة قال انبانا قتادة قال: سمعت انس بن مالك يقول: لما أراد الرسول محمد (ﷺ) أن يكتب إلى ملك الروم قيل له انهم لا يقرأون من الكتاب الا أن يكون مختوما قال: فاتخذ خاتما من فضه ونقش عليه ((محمد رسول الله))^(٥٠) حدثنا أبو الربيع سليمان بن داود الزهراني قال حدثنا

(٤٥) احمد بن عبد الحليم بن تيمية، السياسة الشرعية، تحقيق: صلاح الدين المنجد، ط ٢، (بيروت: ١٩٧٦)، ص ٤٨.

(٤٦) الموريتاني، الرقابة الادارية، ص ١٦٢.

(٤٧) سورة الانفال، الآية: ١

(٤٨) حنين: هو وادي قرب قبيلة هوازن وقعت فيه معركة بين قبيلة هوازن والنبي (ﷺ) عسكرت في هذا الوادي قبيلة هوازن لمقاتله المسلمين. ابراهيم بن علي بن احمد بن عبد الواحد بن عبد المنعم الطرطوسي نجم الدين، تحفه الشرك فيما يجب ان يعمل في الملك، (د.ن)، ج ١، ص ٩٨؛ ينظر: الطبري، تاريخ، ج ٣، ص ١٢٥-٢٣٢، وينظر: ابن حزم الاندلسي، جمهرة انساب العرب، ص ٢٦٤.

(٤٩) رواه البخاري، رقم الحديث ٨٨١.

(٥٠) البلاذري، فتوح البلدان، ج ١، ص ٤٧٧.

حماد بن زيد قال انبانا ايوب عن نافع عن ابن عمران أن رسول الله (ﷺ) اتخذ خاتما من فضه وجعل فسه إلى باطن كفه حدثنا عمرو الناقد قال حدثنا يزيد بن هارون عن حميد عن الحسن قال كان خاتم رسول الله (ﷺ) من ورق وكان فسه حبشيا^(٥١)، وروي أن الرسول محمد (ﷺ) ولي معيقب بن أبي فاطمة السدوسي على خاتمه وولي عدي بن حاتم على صدقات بني اسد وولي مالك بن نويرة اليربوعي على صدقات بني حنظله وولي عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) على بعض من الصدقات خلال عهد الرسول (ﷺ) لأنه كان في ذلك الوقت لكل قبيلة والي يقبض وولي ابا بكر الصديق (رضي الله عنه) على موسم سنة ٩ هـ وعلى ولاية الأمور كلها باعتبار الصديق خليفة الرسول محمد (ﷺ)^(٥٢)، ونعلم بان الرسول (ﷺ) اتخذ خاتما من ذهب وعندما أراد تحريمه لبس خاتم من فضه واره للناس ليعلمهم اباحتهم^(٥٣)، ولسنا نعلم أن كانت غاية الرسول (ﷺ) من ذلك هل لان معدن الذهب يسبب امراض للرجل إذا لبسه أو أراد من ذلك رفض لبسه باعتباره زينة وتشبها بالروم وغيرهم وبين الله لنا في القران بأنه تجب اطاعة الرسول (ﷺ) قال تعالى ((مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ) ^(٥٤).

عن انس ابن مالك أن النبي (ﷺ) قال ((صنعت خاتما فلا ينقش احدا على نقشه)) حدثنا أبي بكر بن الهيثم قال حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهراني وقتادة قال اتخذ رسول الله خاتما من فضه ونقش عليه (محمد رسول

^(٥١) المصدر نفسه ، ج ١، ص ٤٤٨.

^(٥٢) أبو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم الاندلسي القرطبي الظاهري، جوامع السيرة، ج ١، ص ٢٥.

^(٥٣) مجموعة من العلماء، مجلة الجامعة الإسلامية، (المدينة المنورة: د.ت)، عدد ٧٩-٨٠؛ محمد سعيد جمال الدين، كتاب الشبهات، ج ٣٤، ص ٤١.

^(٥٤) سورة النساء، الآية: ٩٤.

الله) فكان أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) يختتم به ثم عمر ثم عثمان (رضي الله عنه) وكان في يد الأخير فسقط من يده في البئر وذلك في النصف من خلافته فاتخذ خاتما جديدا ونقش عليه (محمد رسول الله) في ثلاثة أسطر قال عمر (رضي الله عنه) (لا تنقشوا خواتيمكم العربية)^(٥٥)، لقد عين الرسول (ﷺ) عمالا على أساس الكفاءة والصلاح والأمانة واعطاهم بيوت لمن لم يكن له بيت وزوج من لازوج له وكان يوصي العمال خيرا وذكر انه اوصى ابا موسى الاشعري ومعاذ بن جبل بالتيسير والتبشير^(٥٦)، وكان زيد بن ثابت يترجم للنبي (ﷺ) قال زيد امرني رسول الله (ﷺ) أن اتعلم له كتاب اليهود قال ((اني والله ما أمر يهودي على كتاب))^(٥٧)، قال فمر بي شهر قال فلما تعلمته كان إذا كتب لليهود كتبت اليهم وإذا كتبوا له قرأت له كتابهم وكان المسجد في ذلك الوقت مركز الحياة السياسية والاجتماعية ومنه تنطلق دراسة متعلقات الدولة الإسلامية الداخلية والخارجية^(٥٨)، وان الرسول محمد (ﷺ) قام بتفرقه عماله على الصدقات^(٥٩)، وهكذا اتحد الدين وكان سلطان النبي محمد (ﷺ) يعتمد على الوحي ولا مجال للشك فيه ابدا ولا للجدال^(٦٠)، لقد كانت سياسة الرسول (ﷺ) يعتمد على العدالة بين جميع المسلمين^(٦١)، وكان التنظيم الإداري والسياسي بيده وبما أن الله ناصر الرسول فقد اكسبه سيادة وتماسكا وجعل السلطة بيده لأنه (ﷺ) كان صاحب مكانة منفردة

⁽⁵⁵⁾ نقلا عن البلاذري، فتوح البلدان، ج ١، ص ٤٤٨.

⁽⁵⁶⁾ علي نايف الشحود، موسوعة الغزو الفكري والثقافي، (د ن: د ت)، ج ٥٧، ص ٩٠.

⁽⁵⁷⁾ رواه الترمذي في كتاب الاستئذان باب ما جاء في تعليم السريانية، ص ١٠٢٢.

⁽⁵⁸⁾ الموريتاني، الرقابة الادارية، ط ١، ص ٨٠.

⁽⁵⁹⁾ ابن سعد، الطبقات، ج ٣، ص ١٧.

⁽⁶⁰⁾ الدوري، النظم الإسلامية، ص ٢٣.

⁽⁶¹⁾ الموريتاني، الرقابة الادارية، ص ٧٩-٨٠.

عند الله^(٦٢)، قال تعالى ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٦٣)، لقد كان الرسول (ﷺ) صاحب النظام الشامل لكل شؤون الحياة كان الرسول (ﷺ) ثقافة وحضارة وهو الدين والدنيا لقد كان الولاة يؤمنون الناس في الصلاة ويجوبون الزكاة وكانت الموارد المالية في عهد الرسول محمد (ﷺ) تقتصر على الزكاة والغنائم والجزية وتصرف في المصارف التي حدها الله ولم يكن للرسول (ﷺ) بيت مال بل كان يقسم الفياء بيومه ومن توجيهات الرسول (ﷺ) ١- أن التكاليف قدر الطاقة قال تعالى ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾^(٦٤)، ٢- تقديم الالم على المهم ٣- التيسير والتبشير^(٦٥)، وكان الرسول (ﷺ) يتصرف بالاموال وفق احتياجات الدولة والمجتمع^(٦٦)، لقد كانت لهذه التنظيمات سوابق هامة للخلفاء الراشدين قال أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) سمعت رسول الله يقول: ((كل جسد نبت من السحت فالنار أولى به))^(٦٧)، وقد سار أبو بكر (رضي الله عنه) على نهج رسول الله وكانت شخصيته شخصيه قياديه اتصف بصفات القائد وسلامة المعتقد والعلم والثقة بالله والصدق والشجاعة والمروءة والزهد وكان ايمانه بالله عظيما وتحلى بالاخلاق الرفيعة وحرص على التمسك بشرع الله والاقتراء به لقد اسند مهمة بيت المال إلى امين الأمة أبي عبيدة عامر بن الجراح واسند القضاء إلى

(62) Mohamed Ahmed sunhur, le califatll, p 268- 272.

(63) سورة ال عمران، الآية: ٢٦.

(64) الموريتاني، الرقابة الادارية، ط١، ص٨٤.

(65) الملاح، الوسيط، ص٣٤٦.

(66) البلاذري، فتوح البلدان، ج١، ص١٤٤؛ أبو يوسف، الخراج، ص٤٢.

(67) اخرجه أبو نعيم، الحلية، ج١، ص٣١؛ شعبان احمد صالح، الخلفاء الراشدون، ط١، ص١٧.

الفاروق عمر (رضي الله عنه)^(٦٨)، أن أبو بكر (رضي الله عنه) أول من اتخذ بيت المال وأول من ولي الخلافة^(٦٩)، ولما استخلف أبو بكر (رضي الله عنه) قال لعمر بن أبي عبيدة انه لابد لي من اعوان فقال له أبو عبيدة انا اكفيك بيت المال وقال عمر (رضي الله عنه) انا اكفيك القضاء وقد واجه أبو بكر (رضي الله عنه) حركات الردة قال^(٧٠) ((والله لاقاتلن من فرق الصلاة والزكاة والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه (والعناق الانثى من ولد المعز) لقد كان الصديق (رضي الله عنه) صاحب غيرة على الإسلام هذه خلافه النبوة التي ادى أبو بكر (رضي الله عنه) حقها^(٧١)، لقد كانت مدة خلافته عامين وثلاثة اشهر وثمانية أيام توفي في ثمان خلون من جماد الآخرة سنة ثلاث عشرة وله ثلاث وستون عاما^(٧٢).

وجاء عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وقال في أول خطبه له ((اللهم اني شديد فليني واني ضعيف فقوني واني بخيل فسخني))^(٧٣)، لقد سار عمر (رضي الله عنه) بسيرة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والصديق (رضي الله عنه)^(٧٤) وبعد اتساع سلطان دولته بداء يفكر بطريقة

(٦٨) تقي الدين احمد بن تيميه، مجموعه الفتاوى (باب الزهد)، ط ١، دار الوفاء، (القاهرة: ١٩٩٧)، ص ١٠٨؛ المرتضى، سيرة امير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب، ط ٢، ص ٧١.

(٦٩) جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال أبو الفضل السيوطي، تاريخ الخلفاء، تحقيق: رضوان جامع رضوان، ط ١، مؤسسة المختار، (العراق: د.ت)، ص ٤٥.

(٧٠) شعبان احمد، الخلفاء الراشدون، ص ٢٢.

(٧١) رواه البخاري وصححه، سنن البخاري، ج ١، رقم الحديث ١٣٨٨، ص ٤٧٩.

(٧٢) ابن حزم الاندلسي، اسماء الخلفاء والولاة وذكر مددهم، تحقيق: احسان عباس، ط ١، (د.ن: د.ت)، ج ٢، ص ٣١٧.

(٧٣) الموريتاني، الرقابة الادارية، ط ١، ص ٨٨.

(٧٤) ابن الجوزي، تاريخ عمر بن الخطاب، تحقيق: عبد البر عباس، ط ١، دار المعرفة، (لبنان: ٢٠٠٤)، ص ٨٥.

يدبر ما جمع من أموال الفتوحات وخاصة بعد أن كثرت الأموال بشكل كبير فرأى عمر (رضي الله عنه) أن لا طاقة له ولا لأمرائه بضبطها ومن الحكمة الإدارية أن لا يدع الأمور المالية بيد العمال وإن يشرف عليها بنفسه ويضبطها ومن هنا انشأ الديوان^(٧٥) وفرض العطاء وجند الجند وسار عمر (رضي الله عنه) في تقسيم الأموال والأعطيات على حسب السبق في الإسلام والفضل في الجهاد ونصرة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لقد اختار عمر (رضي الله عنه) من العمال الأفضل والأقوى وكانت معايير الاختيار هي الأمانة والصدق والتقوى وقام عمر (رضي الله عنه) بمراقبة العمال وبأبلغ في محاسبتهم وكان قدوة عمالة في التعفف عن بيت المال وإبعاد أهل بيته عن أي استفادته شخصيه من المال العام^(٧٦) وقام عمر (رضي الله عنه) بعمل سجل للجند باللغة العربية على يد عدد من نوابغ قريشيين وعلماء الأنساب ثم أمر بعمل الدواوين في أقاليم الدولة الإسلامية في كافة مناطقها وأراضيها فدونت بلغه أهل البلاد المفتوحة (المحررة) وبعد تدوين الدواوين أصبح عمر (رضي الله عنه) يجمع الأموال بعد انتهاء مدة سنة أي جمع سنوي ثم يقوم بتقسيمه بين الناس لقد كان جمع المال يستلزم أن يجمعه رجالاً أصحاب قيم ومبادئ أمانة عليه وحريصين عليه كحرصهم على دينهم ومن هؤلاء الرجال نذكر منهم زيد بن أرقم الذي جعله عمر (رضي الله عنه) على بيت المال خلال عهده^(٧٨) كان عمر (رضي الله عنه) حريصاً على الأمانة وإعادة الحق لأصحابه وكان يختار العمال الأكفاء ذكر عن عدله أنه كان إذا اتاه خصمان

(٧٥) عبد الله جمعان السعدي، سياسة المال في عهد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، ط ١، مكتبة المدارس، (قطر: ١٩٨٣)، ص ١٥٨.

(٧٦) السعدي، سياسة المال، ط ١، (قطر: ١٩٣٨)، ص ١٥٨-١٥٩.

(٧٧) الموريتاني، الرقابة الإدارية، ط ١، ص ٨٨.

(٧٨) أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، مكتبة الحلواني للنشر، ج ١، (سوريا: ١٣٩٢هـ)، ص ٨٩.

برك على ركبتيه وقال ((اللهم اعني عليهما)) وكان يقول بحق بيت المال وتشدده وعفته ((والله ما احد احق بهذا المال من احد وما انا احق به من احد والله ما من المسلمين احد الا وله في هذا المال نصيب)) ويذكر أن عمر (رضي الله عنه) إذا استعمل عاملاً ليعمل في بيت المال كتب عليه كتاباً واشهد عليه ناساً من الانصار بأنه لا يغلق بابه دون حاجات المسلمين وان يهتم بأمورهم ويعدل ما في الرعية وان لا يفكر بالأمور ويحللها بتحليل شخصي لم تخفى عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) صغار الأمور ولا كبارها (٧٩).

وبدأ عمر (رضي الله عنه) تسجيله الديوان في سجل فيه أسماء أصحاب الأعطيات ومقدار أعطياتهم وسمي ذلك الديوان بديوان الجند على أساس أن العرب المسلمون جميعهم جنود في حال التعرض للغزوات أو في حال طلب الجهاد لتحرير المناطق وفتحها من السيطرة الفارسية أو البيزنطية وغيرها جعل عمر (رضي الله عنه) لكل واحد من المسلمين مبلغاً محدداً وفرض لزوجات النبي (صلى الله عليه وسلم) وسائر المسلمين من الرجال والنساء والاطفال والولادة والعبيد بمقادير مختلفة حسب صيغ معينة (٨٠) كان اهتمام الخليفة عمر (رضي الله عنه) في سنواته التي امتدت من ١٣ - ١٧ هـ بأمور منها رفق جبهات القتال بالمقاتلين وتوجه قيادات الجيش من اجل حسم المعارك مع الفرس والساسانيين والروم ولما افتتح عمر (رضي الله عنه) العراق والشام وجنى الخراج جمع أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) لمشاورتهم في بعض الأمور وبحثها معهم متخذ من الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) قدوة له فهو الذي كان يجمع اصحابه ويشاورهم حكمة منه وقال: ((اني قد رأيت أن افرض العطاء لاهله الذين افتتحوه فقالوا: نعم الرأي يا أمير المؤمنين (٨١) لا بد من ذكر أن عمر (رضي الله عنه)

(٧٩) الجوزي، تاريخ عمر، ص ٩١-٩٥.

(٨٠) جمعان، سياسة المال، ط ١، ص ١٦٠.

(٨١) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٤٤؛ الملاح، الوسيط، ط ١، ص ٣٤٦.

شاوَر الصحابة في تدوين الدواوين ولما فتح العراق شاوَر الناس في التفضيل وشاورهم في قسمة الارضين ارض الشام وارض العراق^(٨٢) قال تعالى ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ يَنْتَهُم﴾^(٨٣) عن زيد بن اسلم عن ابيه أن عمر (رضي الله عنه) قال: ((لولا اخر المسلمين ما فتحت من قرية الا قسمتها كما قسمها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في خيبر))^(٨٤) ووردت اشارة عند أبو يوسف أن قرار عمر (رضي الله عنه) بفرض العطاء تم في سنة ١٧هـ - ٦٣٨م في الجابية حيث اجتمع بكل قادة جيشه وقام بمشاورتهم في الأمور المتعلقة في البلاد وكيفيه ايجاد السبل لمعالجة كل القضايا والمشكلات التي بدأت تواجه الدولة وخاصة على اثر الانتصارات التي احرزها المسلمون في الحروب وعمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لم يتخذ قرار فرض العطاء الا بعد أن توافرت للدولة موارد مالية دائمة نتيجة فرض ضريبة الخراج على اراضي البلاد المحررة والتي ردت مردود ايجابي على تحسين الأوضاع^(٨٥)، وبلغ مقدار الخراج في عهد عمر (رضي الله عنه) مائة ألف ألف وألف، والوافي: مقداره درهم ودانقان ونصف^(٨٦).

لا بد من ذكر أن عمر (رضي الله عنه) أول من كتب في التاريخ في شهر ربيع الأول سنة ست عشرة من هجرة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من مكة إلى المدينة وهو أول من دون الدواوين وكتب الناس على قبائلهم وقام بتنظيم الأمور المالية الإدارية

(82) ابن الأثير عز الدين أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، اسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الكتب العلمية، ج ٣، (بيروت: ١٤١٧)، ج ٣، ص ٤٧٥ - ٤٨٠.

(83) سورة الشورى: الآية ٣٨.

(84) ابن الجوزي، تاريخ عمر، (د ن: د ت)، ط ١، ص ٨٩.

(85) الخراج، ص ٤٢؛ الملاح، الوسيط، ط ١، ص ٣٤٦.

(86) ابن سعد، الطبقات، ج ٣، ص ١٢٧.

للمحافظة على واردات الدولة من العبث والفساد عن ابراهيم التيمي قال: (لما فتح المسلمون السواد قالوا لعمر اقسامه بيننا فابى قالوا: "اننا فتحناه عنوة" قال ((فما لمن جاء من بعدكم من المسلمين فاخاف أن تفسدوا بينكم في المياه وأخاف أن تقتتلوا))^(٨٧) الخراج وهو ايراد وصل لبیت المال^(٨٨) الخراج لغة:- الخرج والخراج الاتاوة وجمعه اخراج واخراج وأخرجه^(٨٩) أما الخراج اصطلاحاً:- هو ما وضع على رقاب الارض من حقوق تؤدي عنها^(٩٠) والعشور:- هي الأموال التي يتم تحصيلها عن طريق التجارة ولم يكن لضريبة العشور وجود في عهد النبي (ﷺ) ولا عهد أبو بكر (رضي الله عنه) لان تلك الفترة كانت فترة دعوة للإسلام وجهاد في سبيله فلما اتسعت الدولة عهد عمر (رضي الله عنه) صار التبادل التجاري مع الدول المجاورة ضروريا حسب الاحتياجات وتمليها المصلحة العامة للدولة^(٩١)، لقد كانت سعة ضخامة الغنائم^(٩٢)، التي حصل عليها المسلمون في حروب الردة مصدر حزن وقلق في نفس عمر (رضي الله عنه) بسبب خوفه من الآثار السلبية الناتجة من توزيعها فقد خاف من السهو عن غير قصد في التوزيع لشدة عدالته وهذا معروف لدى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في مثل هذه الأمور وغيرها لقد حرص عمر (رضي الله عنه) على عدم ارهاق الناس بالخراج وفرض العطاء وكان هدفه

(٨٧) الجوزي، تاريخ عمر، ط ١، ص ٦٠-٨٩.

(٨٨) علي محمد الصلابي، عمر ابن الخطاب، ط ٣، دار ابن كثير، (بيروت: ٢٠١٠)،

ص ٣١٥

(٨٩) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادي، القاموس المحيط، (د ن: د ت)، ص ٨١٧.

(٩٠) أبو الحسن بن محمد بن حبيب البصري الماوردي، الاحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الكتاب العربي (بيروت: ١٤١٥)، ص ٢١٢.

(٩١) الغنائم شرعا هو ما نيل من أهل الشرك عنوة و قسرا اما لغة: مشتقة من الغنم أي الفوز بالشيء من غير مشقة ينظر، ابن منظور، لسان العرب، مادة غنم، ص ٣٢٣.

(٩٢) الطبري، تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٣٦٧-٣٧٥؛ الملاح، الوسيط، ص ٣٤٦.

من الخراج والعطاء هو ايجاد مصدر مالي يضاف للمقاتلين لضمان كل فرد حصته سواء ساهم في الفتح أو مستعدا للفتح والحروب، لقد شكلت الغنائم جزءا مهما من الثروات الكبيرة التي اعانت المسلمين في مجالات عدة وسهلت الأمور لعوائل المقاتلين في حال مشاركة الرجال في الحروب (٩٣).

قام عمر (رضي الله عنه) بتوزيع العطاء استنادا إلى مبدأ التسوية كما كان الأمر في عهد أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) غير أن عمر (رضي الله عنه) الله عدل عن التسوية في توزيع العطاء (٩٤) كان عمر (رضي الله عنه) قدوة في التعفف عن بيت المال (٩٥). لقد كان عمر (رضي الله عنه) شديد الحيلة في الانفاق على نفسه فروي عنه انه قال: "اني انزلت مال الله مني بمنزلة اليتيم فان استغنيت عففت وان افتقرت اكلت بالمعروف (٩٦)، وزع عمر (رضي الله عنه) العطاء استنادا إلى قاعدة أو بالأحرى إلى مبدأ التفضيل بعد أن أنشاء الديوان واكد عمر (رضي الله عنه) على حق جميع المسلمين الأحرار من الحصول على نصيب من خلال هذا العطاء (٩٧)، وكان عادلا في الرعية يذكر أن عمر (رضي الله عنه) قسم مروطا (٩٨) بين نساء أهل المدينة فبقي منها مرط جيد، فقال له بعض من عنده :اعط هذا ابنه رسول الله قصدوا ام كلثوم بنت علي (رضي الله عنه) فقال : ام سليط

(٩٣) نجمان ياسين، تطور الاوضاع الاقتصادية، ص ١٧٤.

(٩٤) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٣٦، ينظر الملاح، الوسيط، ط ٣، ص ٣٢٥.

(٩٥) الموريتاني، الرقابة الادارية، ط ١، ص ٩٠.

(٩٦) شعبان احمد، الخلفاء الراشدون، ص ٣٧.

(٩٧) أبو يوسف، الخراج، ص ٤٦.

(٩٨) المرط: جمع مرط، وهو الكساء من الصوف ينظر: أبو زيد القرشي، جمهرة اشعار

العرب، ج ١، ص ٢٦١.

أحق به فأنها ممن بايع رسول الله (ﷺ) وكانت تزفر^(٩٩) لنا القرب يوم أحد^(١٠٠) وكذلك عمل عمر (رضي الله عنه) على حصر هذا الحق في إطار نوع من التمايز قائم على أساس الأسبقية في الإسلام والجهاد في سبيل الله ويعزى سبب توجه الخليفة لذلك هو رغبة منه في استرضاء كبار الصحابة واسترضاء المحررين الأوائل مكافئة منه لهم على الخدمات التي قدموها في مسيرتهم من أعمال وتضحيات وجهاد للدولة العربية الإسلامية منذ بداية تأسيسها مروراً بتقديمها وازدهارها^(١٠١)، من هذا يتضح لنا أن عمر (رضي الله عنه) كان المحرك الأساسي الذي دار دفة الدولة بخبرته الواسعة وعقليته الفذة لقد كان يحلل الأوضاع تحليل دقيق ويتمعن بدراساتها من كافة الجوانب وكان يملك بعد نظر وحكمة كبيرة^(١٠٢) لقد بقيت سيرته تتردد على المدى البعيد مروراً بالأجيال ويستفيد منها كل مسلم يرغب في رضا الله ورسوله محمد (ﷺ).

وعندما جاء عثمان (رضي الله عنه) ولابد من ذكر أن عثمان (رضي الله عنه) كان أشبه خلقاً بالنبي (ﷺ)^(١٠٣)، وكان من الطبيعي أن يسير على نفس نهج رسول الله (ﷺ) لا يغير ولا يبدل وكيف لا يفعل ذلك وهو كاتب وحي رسول الله (ﷺ) وخليفته لقد اختار عثمان (رضي الله عنه) ولاية الأمصار من أصحاب الكفاءة والأمانة وكان وثيق

^(٩٩) تزفر القرب: أي تحملها مملوءة لسقي الناس في الغزو ينظر: محمد مرتضى الزبيدي،

تاج العروس من جواهر القاموس، ج ٢، ص ٢٦٢.

^(١٠٠) البخاري، مغازي الرسول، ج ٨، ص ٤١٥.

^(١٠١) الملاح، الوسيط، ط ٣، ص ٣٥٢.

^(١٠٢) الدوري، النظم الإسلامية، ص ٣٢؛ ينظر Hamidullah, the city state of mecca,

1938, p.2

^(١٠٣) الطبري، حياة وفضائل عثمان بن عفان، تحقيق: عبد الحليم سليمان، دار الحياة للنشر

والتوزيع، (سوريا: د. ت)، ص ٢٠.

الصلة بولاته ويتبادل معهم الرسائل ويطلع على الأمور أولاً بأول^(١٠٤)، ومن عماله الذين تولوا بيت المال في عهدة عبد الله بن ارقم ثم استعفى فأعفاه فتولى وكاتبه مروان ابن الحكم^(١٠٥)، تولى عثمان (رضي الله عنه) الخلافة في ذي الحجة سنة خمسة وثلاثين بل أول يوم من المحرم سنة اربع وعشرين^(١٠٦)، وقتل في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين وكانت مدة ولايته اثنتي عشر عاما كاملة غير عشرة أيام وتولى علي (رضي الله عنه) الخلافة وسار على نهج من كان قبله من الخلفاء واقال في بداية عهده كبار رجال عمال عثمان (رضي الله عنه) وعين سهل بن حنيف على المدينة المنورة وعبد الله بن عباس على البصرة وكان الاخير أهم رجالات علي (رضي الله عنه) ومرافقة ومستشارة في الأحداث الخطيرة التي مرت بها الدولة الإسلامية في عهده^(١٠٧)، أن من أهم اركان العملية الإدارية ركن التنظيم قال تعالى ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ مَقْدِيرًا﴾^(١٠٨)، ونجد أن للنار خزنة وللجنة خزنة قال تعالى ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾^(١٠٩).

^(١٠٤) الموريتاني، الرقابة الإدارية، ط ١، ص ٩٠.

^(١٠٥) خليفة بن خياط الليثي العصفري أبو عمر، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: اكرم ضياء

العمري، ط ١، (النجف: د ت)، ص ٣١٠.

^(١٠٦) الاندلسي، أسماء الخلفاء، ط ١، ص ١٣٨.

^(١٠٧) ابن هشام، السيرة النبوية، ص ٤٢٨-٤٢٩؛ الملاح، الوسيط، ص ١٠٥.

^(١٠٨) سورة الفرقان: الآية ٢.

^(١٠٩) سورة الزمر: الآية ٧١.

المبحث الثاني

الخليفة معاوية بن أبي سفيان وحياته

١ - اسمه ونسبه:

هو معاوية^(١١٠)، بن أبي سفيان بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب^(١١١)، القرشي الأموي^(١١٢)، يكنى ابا عبد الرحمن^(١١٣)، وقد اطلقت عليه بعض المصادر المتأخرة بالناصر لدين الله^(١١٠) اسم معاوية مشتق من قولهم تعاوى القوم اذ تداعوا الى حرب او غيرها واستعوى بنو فلان بني فلان اذ استنصروهم واستعوى الرجل اذ مات بالفقر واستعوى الكلاب ليسمع نبأها فيعلم انه قريب من ماء او جله ينظر أبي بكر محمد بن الحسن ابن دريد، الاشتقاق، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، ط ٢، (بغداد: ١٩٧٥) ، ص ٧٥.

^(١١١) أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني، الكامل في التاريخ، تحقيق: عبدالله القاضي، دار الكتب العلمية (بيروت: ١٤١٥) ، ج ٣، ص ٣٧٢؛ ابن سعد، الطبقات الكبير، تصحيح: برونو، ج ٧، (لیدن: ١٣٣٨)، ص ١٢٨؛ الزبيري، أبو عبدالله المصعب بن عبدالله، نسب قریش، صححه: ليفي برفنسال، ط ٢، (مصر: ١٩٧٦)، ص ٩٨؛ ابن قتيبة، أبو احمد عبدالله، المعارف، تحقيق: محمد اسماعيل عبدالله الصاوي، ط ٢، (بيروت: ١٩٧٠)، ص ١٥٠؛ البلاذري، احمد بن يحيى، انساب الاشراف، تحقيق: احسان عباس، ج ١، (بيروت: ١٩٧٩)، ج ١، ص ١؛ ابن حزم، أبو محمد علي بن احمد، جمهرة انساب العرب، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، ط ٥، (مصر: ١٩٢٨)، ص ٧٤؛ ابن عبد البر، أبو عمر يوسف، الاستيعاب في معرفة الاصحاب، ط ١، ج ١، (مصر: ١٣٢٨هـ)، ج ٣، ص ٣٩٥؛ ابن القيسراني، أبو الفضل محمد بن طاهر، الانساب المتفقه، (ابريل : د ت)، ص ١١؛ ابن أبي الحديد، عز الدين أبو حامد، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، ط ١، ج ١، (مصر: ١٩٥٩)، ص ٣٣٤؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد، دول الإسلام، تحقيق: فهيم محمد شلتوت ، ج ١، (مصر: ١٩٤٧)، ص ٤٥؛ زامباور: ادوارد فون، معجم الانساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، اخرجه زكي محمد حسن وآخرون، (مصر: ١٩٥١)، ص ١؛ الشبلي، أبي عبدالله محمد بن عبدالله، محاسن الوسائل الى معرفة

الرحمن^(١١٣)، وقد اطلقت عليه بعض المصادر المتأخرة بالناصر لدين الله أو الناصر لحق الله^(١١٤).

٢- ولادته

لا تذكر المصادر التاريخية المتقدمة عن السنة التي ولد فيها الخليفة معاوية بن أبي سفيان وهذا شأن معظم الصحابة وكبار المسؤولين في الدولة العربية الإسلامية لقد ولد معاوية بن أبي سفيان سنة عشرين قبل الهجرة بمكة المكرمة^(١١٥) ويذكر انه ولد في السنة الثامنة عشر قبل الهجرة^(١١٦)، ويصعد

الاول، مخطوطة من المكتبة المركزية/جامعة الموصل رقم ٣٣١، الورقة رقم ٦٥؛ النويري، احمد بن عبدالوهاب، نهاية الارب في فنون الادب، تحقيق: محمد رفعت حميد الله، ج ٢٠، (مصر: ١٩٧٥)، ص ٢٣٨؛ السدوسي، مؤرج بن عمرو، كتاب حذف من نسب قریش، تحقيق: صلاح الدين المنجد، (مصر: ١٩٦٠)، ص ٣٠.

^(١١٢) الابياري، معاوية الرجل الذي انشأ دولة، ط ١، ص ٧٥.

^(١١٣) أبو الشباب، تاريخ الخلافة الأموية، ط ١، ص ١٥.

^(١١٤) ابن الكلبي، جمهرة النسب، ج ١، ص ١٤٩.

^(١١٥) ابن حجر العسقلاني، الاصابة في تميز الصحابة، ط ١، (مصر: ١٣٢٨)، ص ٤٣٣؛

ينظر الخضري بك، محاضرات في تاريخ الامم الإسلامية، ط ٨، (مصر: ١٣٢٨)؛ حسن

وأخر، زعماء الإسلام، ط ١، (مصر: ١٩٥٣)، ص ٢٠٨؛ العقاد، عباس محمود، معاوية بن

أبي سفيان في الميزان، ط ١، (مصر: د ت)، ص ١٥٦-١٥٧، الابياري، معاوية الرجل

الذي انشأ دولة، (القاهرة: ١٩٦٢)، ص ١١٤؛ (ويشير الابياري دون ذكر المصدر ان مولد

معاوية كان قبل الهجرة بعشرين سنة)، شلبي، احمد، موسوعة التاريخ الإسلامي

والحضارة الإسلامية، ج ٢، ط ٧، (القاهرة: ١٩٨٤)، ج ٢، ص ٣٤؛ (يشير الى ان ولادته

كانت قبل البعثة النبوية بخمس عشر سنة).

^(١١٦) ابن سعد، الطبقات، ج ٧، ص ١٢٨؛ الطبري، تاريخ، ج ٥، ص ٣٢٥؛ ابن كثير، البداية

والنهاية، ج ٨، ص ١٤٣.

نسبة إلى عدنان^(١١٧)، ولكن هناك إشارة واحدة وردت عند ابن حجر العسقلاني يشير فيها إلى أن معاوية ولد قبل البعثة بخمس سنين^(١١٨)، وهذا التاريخ الأخير اجمع عليه كبار المؤرخون المتقدمون وأنه التاريخ الأرجح لولادة معاوية^(١١٩) أما مكان ولادته فيبدو لنا أنها كانت مكة ولكن المصادر التاريخية لا تورد معلومات عن المكان الذي ولد فيه^(١٢٠) باستثناء إشارة وردت عند ابن خياط يشير فيها إلى أن ولادة معاوية كانت في دار أبي سفيان^(١٢١) وهذه الرواية قريبة إلى المنطق لاحتمال أن تلد المرأة في بيت أبيها^(١٢٢) ولقد تفرس فيه والده أبو سفيان ووالدته هند منذ الطفولة بمستقبل كبير فهذا أبو سفيان يقول: أن هذا ابني عظيم الرأس وأنه لخليق أن يسود قومه فقالت هند: قومه فقط ثكلته أن لم يسد العرب قاطبة^(١٢٣).

(١١٧) اشار كل من كمال الدين الدميري، حياة الحيوان الكبرى، ج ١، (بيروت: د. ت)، ص ٥٥؛ أبو العباس احمد بن يوسف القرمانى، اخبار الدول واثار الأول في التاريخ، (بيروت: د. ت)، ص ١٢٩، الى ان ولادة معاوية كانت بالخيف من منى، في حين اشار الابشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ج ٢، ص ٨٩ الى ان ولادة معاوية كانت في الطائف.

(١١٨) ابن خياط، تاريخ، ج ٢، ص ٢١٦.

(١١٩) المقدسي، التبيين في انساب القرشيين، ص ١٧٣.

(١٢٠) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١١، ص ٣٩٨.

(١٢١) البلاذري، انساب الاشراف، ج ١، ص ٨.

(١٢٢) محمد بن عمر الواقدي، المغازي النبوية، تحقيق: مارسدن جونس، ج ٢، (بيروت: د. ت)، ص ٥٩٧.

(١٢٣) ابن سعد، الطبقات، ج ٨، ص ١٧٢.

لقد عاش معاوية في كنف عائلته وترعرع فيها اصطحبه ابوه في بعض رحلاته التجارية إلى الشام لتعليمه مهنة التجارة^(١٢٤) لقد كان معاوية على علم كبير بالطرق التجارية إذا سلكها بحكم ذهابه مع والدته لأغراض التجارة^(١٢٥) ولقد عاش معاوية في حرمان وذلك لأن ابوه أبو سفيان كان رجلاً شحيح العطاء على الرغم من غناه ويذكر أن زوجته هند شكت هذا للرسول محمد (ﷺ) وقال ((خذي وابنيك ما يكفيك بالمعروف))^(١٢٦) عاصر معاوية الإسلام في الفترتين الفترة السرية والفترة العلنية وكان صغير العمر بالفترة السرية وعلى ديانة ابوه ولم يذكر أنه أذى أحداً من قبل من المسلمين قط^(١٢٧) وشهد مقتل حبيب بن عدي (رضي الله عنه)^(١٢٨) ولم يذكر أنه شارك في معركة أحد مع قومه ضد المسلمين^(١٢٩) أما فيما يخص بمشاركته في الخندق فكانت أكيدة أشار إليها الواقدي وقال: أن رسول الله (ﷺ) أرسل حذيفة بن اليمان إلى معسكر قريش فشاهد معاوية في صفوف قومه الأولى^(١٣٠)، وبعد أن استقرت الأمور وأصبحت بيد محمد رسول الله (ﷺ) في المدينة توجه لفتح مكة وذلك في سنة ٨هـ - ٣٦٠م^(١٣١)، بجيش بلغ

^(١٢٤) المغازي، ج ٢، ص ٤٨٩.

^(١٢٥) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣، ص ١٧٣، ينظر ابن الكلبي، جمهرة النسب، ج ١، ص ١٧٧.

^(١٢٦) ابن الوردي، تاريخ، ص ١٦٢.

^(١٢٧) ابن سعد، الطبقات، ج ٧، ص ١٢٨.

^(١٢٨) هو حبيب بن عدي بن مالك من قبيلة الاوس شهد بدرًا واستشهد على عهد الرسول محمد (ﷺ) حيث قتلته قريش، ينظر ابن حجر، الإصابة، ج ١، ص ٤١٨.

^(١٢٩) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ٨٠ - ٨١.

^(١٣٠) الديار بكري، حسن بن محمد، تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، ج ٢، (بيروت: ١٢٣٨)، ص ٢٦٩.

^(١٣١) ابن حجر، الإصابة، ج ١، ص ٤١٨.

تعداده ١٠٠٠٠ مقاتل وقبل وصوله اسلم أبو سفيان وعند ذلك قال الرسول: ((من دخل دار أبي سفيان فهو امن)) واسلمت امه هند في السنة نفسها^(١٣٢)، أما إسلام معاوية فكان عام الفتح^(١٣٣)، لان اباه هده أن اسلم يمنع عنه القوات وهذه رواية نسبها معاوية نفسه^(١٣٤)، في حين يذكر الذهبي أن إسلامه وقع بقلبه وذكر لامه فنهته ولما علم أبوه قال^(١٣٥): أن يزيد خير منه وهو على دين إبيائه^(١٣٦).

في حين ذكر الديار بكري انه اسلم قبل ابيه^(١٣٧)، والارجح أن معاوية اسلم يوم فتح مكة وهذا على المشهور وهناك مسألة تتعلق بإسلامه لابد من ذكرها وهي المؤاخاة فقد اخى الرسول محمد (ﷺ) بينه وبين الحتات بن يزيد بن علقمة من بني تميم لقد كان اسلام معاوية تغيرا جذريا في نطاق حياته كلها فقد اصبح من الصحابة المقربين من رسول الله (ﷺ) وكان ملازما له حتى حجة الوداع، وكان الرسول محمد (ﷺ) يستعين به في بعض الأمور، كما ورد انه شارك مع الرسول محمد (ﷺ) في غزوة حنين والطائف وقد اعطاه الرسول (ﷺ) واباه واخاه يزيد وبعض من الرجال مائة من الابل واربعين اوقية من الفضة لكل فرد منهم، وردت اية في القرآن الكريم بخصوص المسلمين الذين شاركوا مع الرسول محمد (ﷺ) بغزوة حنين والطائف حيث قال تعالى ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى

^(١٣٢) ابن هشام، السيرة، ج ٣، ص ٥٦٠.

^(١٣٣) الواقدي، المغازي، ج ٣، ص ١٠٩٦.

^(١٣٤) زيد أبو عمر ابن شبة، تاريخ المدينة المنورة، تحقيق: محمد فهمي شلتوت، ج ٢، (مكة: ١٩٧٩)، ص ٥٧٩.

^(١٣٥) الطبري، تاريخ، ج ٢، ص ٥١٢.

^(١٣٦) ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ٩١؛ وينظر الواقدي، المغازي، ج ٣، ص ٩٤٥؛

^(١٣٧) الاصفهاني، كتاب الاغاني، ج ١٣، (بيروت: د. ت.)، ص ٧٠، ينظر ابن عساكر، تهذيب

تاريخ ابن عساكر، تحقيق: عبد القادر بدران، ج ٦، ط ٢، (بيروت: ١٩٧٩)، ص ٣٩٥

رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ
 الْكَافِرِينَ ﴿١٣٨﴾ وَمَعَاوِيَةَ مِنَ الَّذِينَ شَهِدُوا الْغَزْوَةَ وَكَانَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ
 أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِمْ مَعَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ (ﷺ) كَمَا أَنَّ مَعَاوِيَةَ مِمَّنْ وَعَدَهُمُ اللَّهُ
 بِالْحَسَنِ، قَالَ تَعَالَى ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مَنِ
 الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتْلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ﴿١٣٩﴾ وَمَعَاوِيَةَ
 أَنْفَقَ فِي حَنِينٍ وَالطَّائِفِ وَقَاتِلَ فِيهِمَا (١٤٠)، عِنْدَمَا جَاءَ الْإِسْلَامُ كَانَ فِي قُرَيْشٍ
 سَبْعَةُ رِجَالٍ كُلُّهُمْ يَعْرِفُونَ الْكِتَابَةَ مِنْ بَيْنِهِمْ أَبُو سَفْيَانَ وَوَلَدَاهُ يَزِيدٌ وَمَعَاوِيَةُ (١٤١)،
 وَعِنْدَمَا فَتَحَ الرَّسُولُ مُحَمَّدٌ (ﷺ) مَكَّةَ وَأَعْلَنَ مَعَاوِيَةَ إِسْلَامَهُ اتَّخَذَهُ الرَّسُولُ مُحَمَّدٌ
 (ﷺ) كَاتِبًا لَهُ (١٤٢)، وَهَذِهِ مَسْأَلَةٌ مُتَّفَقٌ عَلَيْهَا وَلَكِنَّ السُّؤَالَ الَّذِي يَدُورُ فِي الذِّهْنِ
 هَلْ كَانَ مَعَاوِيَةَ يَكْتُبُ الْوَحْيَ؟ أَمْ يَكْتُبُ غَيْرَ ذَلِكَ؟ بَعْضُ الْمُؤَرِّخِينَ ذَكَرُوا أَنَّهُ
 كَانَ يَكْتُبُ الْوَحْيَ (١٤٣)، وَبَعْضُ الْمُؤَرِّخِينَ ذَكَرُوا أَنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ الْكُتُبَ لِلرَّسُولِ
 (ﷺ) (١٤٤)، وَمِنْهُمْ ذَكَرُوا أَنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ دُونَ تَحْدِيدِ مَا كَانَ يَكْتُبُهُ (١٤٥)، هُنَاكَ
 إِشَارَةٌ عِنْدَ الْيَعْقُوبِيِّ ذَكَرَ فِيهَا أَنَّ كِتَابَ الرَّسُولِ (ﷺ) كَانُوا يَكْتُبُونَ الْوَحْيَ كَمَا

(١٣٨) سورة التوبة، الآية: ٢٦

(١٣٩) سورة الحديد، الآية: ١٠

(١٤٠) الصلابي، معاوية بن أبي سفيان، ص ٦٣.

(١٤١) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٤٥٣.

(١٤٢) الطبري، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، ج ١٢، ط ٢، (موصل:

١٩٨٥)، ص ١٤٥، ج ٢٣، ١٨٢.

(١٤٣) ابن العربي أبو بكر، العواصم والقواصم، تحقيق: محب الدين الخطيب، (بغداد: ١٩٩٠)

، ص ٨٣.

(١٤٤) ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ٧٩.

(١٤٥) ابن سعد، الطبقات، ج ٧، ص ١٢٨.

يكتبون الكتب والعهود^(١٤٦)، وقد استعرضوا كتاب الوحي وذكر منهم زيدا بن ثابت ولم يذكر معاوية^(١٤٧)، في حين أشار معاوية انه كتب الوحي بشهادة الحسن بن علي (عليه السلام)^(١٤٨)، عموما نحن نعلم بان الرسول محمد (ﷺ) اتخذ كثيرا من الكتاب ومنهم من اسلم قبل معاوية ويبدو أن رواية اليعقوبي اقرب الروايات إلى أن الكتاب كانوا يكتبون الوحي ويكتبون العهود والمواثيق^(١٤٩)، ويؤيد هذا القول ما رواه ابن كثير حيث ذكر أن معاوية كان يكتب الوحي^(١٥٠).

ولربما كتب للرسول (ﷺ) بعض الايات الكريمات ولكن مما لاجدال فيه انه كتب للرسول محمد (ﷺ) العهود والمواثيق والامثلة كثيرة فقد كتب معاوية كتبا لكل من عينه بن حصن^(١٥١)، والاقرع بن حابس^(١٥٢)، بحضرة الرسول محمد (ﷺ)^(١٥٣)، وكتبا لوائل بن حجر الكندي^(١٥٤)، وهو من اليمن^(١٥٥)، وكتبا لبلال

(١٤٦) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٧٠، ينظر الابياري، معاوية الرجل الذي انشأ دولة، ص ١١٨.

(١٤٧) الطبري، تاريخ، ج ٦، ص ١٧٩.

(١٤٨) ابن عساكر، التهذيب، ج ٤، ص ٣١٥.

(١٤٩) اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٧٠-٧١.

(١٥٠) البداية والنهاية، ج ٨، ص ٢١، ص ١١٩.

(١٥١) هو عينه بن حصن الفيرازي ينظر علي بن عبدالله بن احمد الحسني السهمودي،

خلاصه الوفا باخبار دار المصطفى، (د: ن: د: ت)، ج ١، ص ٩٩.

(١٥٢) الاقرع بن حابس: هو الاقرع بن حابس التميمي، ينظر أبو بكر عبدالرزاق بن همام

الصفاني، مصنف عبدالرزاق، المكتب الإسلامي، (بيروت: ١٤٠٣)، وكان مؤذن عمر بن

الخطاب (عليه السلام) ينظر ابن سعد، الطبقات، ج ٧، ص ١٢٣.

(١٥٣) ابن شبة، تاريخ المدينة المنورة، ج ٢، ص ٥٣٤-٥٣٥.

(١٥٤) وائل بن حجر الكندي: هو وائل بن حجر الكندي الحضرمي سكن في الكوفة ينظر

محمد بن اسماعيل بن ابراهيم أبو عبدالله البخاري، التاريخ الكبير، تحقيق: هاشم الندوي،

دار الفكر، (د: ت)، ج ٨، ص ١٧٥.

بن الحارث المزني^(١٥٦)، وظل معاوية يكتب مثل هذه الكتب كما كتب أيضا كتاب الصلح بين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وأهل ابلقاء^(١٥٧)، سنة ١٥هـ - ٦٣٦م لقد كان معاوية بن أبي سفيان من أصحاب الطاقات في المجالات السياسية والاجتماعية وغيرها^(١٥٨)، لقد نشأ معاوية بن أبي سفيان في كنف اسرة كان لها اثر كبير في بناء طفولته وشبابه وذلك لأنها صقلته وصقلت لديه المواهب والقدرات ومنها الحلم والدهاء وغيرها التي جعلت منه رجلا سياسيا مفكرا قادرا على فهم الأمور وحلها وقد ذكر المؤرخين ذلك بشكل جلي فقد قيل فيه^(١٥٩): قال الطرطوشي "لم يكن فيهم من بني أمية احلم من معاوية ولا جرم دانت له الدنيا وملك بها رقاب الناس من العرب والعجم حلمه يضرب به المثل ويقتدى به الخلق ويتخلق به العقلاء كان معاوية ملكا"^(١٦٠).

وذكر أبو الفداء قال: "كان حليما داهية عالما بالسياسة وكان حلمه قاهرا لغضبه وجودة غالبا على منعه يصل ولا يقطع"^(١٦١). وكان معاوية يعد احد دهاة

(١٥٥) ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ٧٩.

(١٥٦) بلال بن حارث المزني: هو بلال بن حارث المزني أبو عبدالرحمن المدني توفي وعمره ٨٠ سنة وهو صحابي معروف شهد القادسية مع سعد بن أبي وقاص وكان ينزل بجبل يدعى الاجرد ينظر الواقدي، المغازي، ج ١، ص ٢٤٠، ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ط ١، دار الرشيد، (سوريا: ١٩٨٦)، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٤، ص ١٨١

(١٥٧) ابلقاء (الابلة): وهي موضع بارض بني سليم بين مكة والمدينة بعث اليها الرسول (ﷺ) بعثا، ينظر ابن منظور، لسان العرب، ج ١١، ص ٨.

(١٥٨) الطبري، تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٦٠٩.

(١٥٩) محب محمود قاسم، معاوية بن أبي سفيان، أطروحة دكتوراه، جامعة الموصل، (الموصل: ١٩٩٥)، ص ٢٢.

(١٦٠) سراج الملوك، (القاهرة: ١٩٣٥)، ص ٨٦ - ٧٨.

(١٦١) ابن كثير تفسير الدمشقي، تحقيق: يوسف عبد الرحمن، (بيروت: ١٩٩٢)، ج ٢، ص ٣٨.

العرب^(١٦٢)، ومن صفاته يهتم بالجميع الصغير والكبير ويتحمل الالم، والضغط ويحب الدين، ودودا عطوف، متواضع وهادئ، يحب أن يتعلم ويعلم، لديه معلومات كبيرة وخبرات عريضة^(١٦٣)، وكان أثقل حلما، وابطا جهلا وابعدا اناة^(١٦٤)، وقال النويري: "كان يضرب بحلم معاوية المثل ولم تعرف له زلة الا قتل حجر بن عدي كان يعطي المقارب ويداري المباعد ويلطف به^(١٦٥)، وقال عنه ابن كثير: "كان حلما وقورا رئيسا سيدا في الناس كريما عادلا شهما^(١٦٦)، وذكره الفلقشندي وقال عنه: "هو أول من رتب الخلافة واقام ابهتها وأجراها على قاعدة الملك^(١٦٧)."

وقال الابشيهي: "كان معاوية بن أبي سفيان قد سلك طريق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في الدواوين والاهتمام بها"^(١٦٨)، أما ابن الأزرقي الأندلسي فقال: "هو صحابي كريم ومشهود له عند أهل السنة باستمراره بعد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على ما كان عليه من فضل الصحبة والسابقة"^(١٦٩).

⁽¹⁶²⁾ من كتب المجالات والموسوعات العلمية مجلة وموسوعة الاعلام، وزارة الاوقاف المصرية، ج ٢، ص ١٧.

⁽¹⁶³⁾ مجموعة من العلماء ، من كتب المقال وعنوانه، كتاب من اسرار النفس البشرية، ج ٢، ص ٨.

⁽¹⁶⁴⁾ ابن عساكر، تاريخ دمشق، تحقيق: علي شيري، (بيروت: ١٩٩٥) ، ج ٩٧، ص ٣٥٧.

⁽¹⁶⁵⁾ نهاية الارب، ج ٢٠، ص ٣٥٥-٣٧٢.

⁽¹⁶⁶⁾ البداية والنهاية في التاريخ، ج ٨، ص ١١٨.

⁽¹⁶⁷⁾ مآثر الخلافة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد السلام احمد خراج، (بيروت: د.ت)، ج ١، ص ١١١.

⁽¹⁶⁸⁾ المستطرف في كل فن مستظرف، ج ١، ص ٩٤.

⁽¹⁶⁹⁾ بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق: محمد عبد الكريم، (ليبيا: ١٩٧٦)، ج ٢، ص ١٣٤.

وقال عنه السيوطي: "كان معاوية بن أبي سفيان من الموصوفين بالحلم والدهاء"^(١٧٠)، "أما ما ورد عند القرماني بوصف معاوية فإنه قال: "كان متنصحا في مأكله ومشربه وملبسه وكان من الموصوفين بالدهاء والحلم وكان يضرب علمه المثل"^(١٧١)، لقد استفاد معاوية من ملازمته لرسول الله محمد (ﷺ) علما وتربية واتيحت له فرصه عظيمة من الاستفادة من رسول الله (ﷺ) قال أبو الدرداء الصحابي الجليل لاهل الشام "ما رأيت احد اشبه بصلاة الرسول (ﷺ) من امامكم هذا يعني معاوية"^(١٧٢)، كان معاوية حريصا على اتباع السنة النبوية^(١٧٣) وكان من الموصوفين بالدهاء والحلم قال عنه رسول الله (ﷺ) ((اللهم اجعله هاديا مهديا))^(١٧٤)، كان رجلا ابيضاً جميلاً قال عنه عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ((هذا كسرى العرب)) وقال عنه علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ((لا تكرهوا معاوية فإنكم أن فقدتموه لرأيتم الرؤوس تتدر عن كواهلها))^(١٧٥)، وقال المقبري: "تعجبون من دهاء هرقل وكسرى وتدعون معاوية"^(١٧٦)، وقال ابن شبه: "كان رجلاً عاقلاً في دنياه حلیم في موضع الحلم شديد في موضع الشدة إلا أن الحلم كان غالباً على طبعه"^(١٧٧)، لقد اهتم معاوية كثيراً بشخصيته منذ أن

-
- (¹⁷⁰) تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط ١، (بغداد: ١٩٨٧)، ص ١٩٤
- (¹⁷¹) اخبار الدول واثار الأول في التاريخ، (بيروت: د.ت)، ص ١٢٩.
- (¹⁷²) احمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني أبو العباس، منهاج السنة النبوية، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط ١، (مؤسسة قرطبة: ١٤٠٦هـ)، ج ٣، ص ٤٥٧.
- (¹⁷³) السيوطي، تاريخ، ص ٢٢٤.
- (¹⁷⁴) رواه الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث ١٤٨٧، ص ٣١٠.
- (¹⁷⁵) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١١، ص ٤٣.
- (¹⁷⁶) اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ١٢٢-١٢٣.
- (¹⁷⁷) ابن شبه، تاريخ المدينة، ص ٨٢٦ - ٨٢٧.

كان واليا على بعض اجناد الشام كان انيقا بملبسة ومظهرة^(١٧٨)، لبس معاوية الذهب والحريز ليتباهى به أمام الأعداء واتخذ المقصورة للصلاة فيها حرصا منه على حياته منذ أن ضربه البرك بن عبدالله التميمي وأراد قتله، واتخذ الحرس لتمشي بين يديه وركب الدواب بالسروج المفضضة^(١٧٩).

قال جبله بن سحيم سمعت عبدالله بن عمر (رضي الله عنه) يقول: "ما رأيت بعد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) اسود من معاوية فقيل ولا أبوك قال: أبي عمر رحمه الله خير من معاوية وكان اسود منه" كان معاوية ليبيبا عالما حليما ملكا قويا جيد السياسة حسن التدبير^(١٨٠)، ومعاوية أول من بايع لولده وأول من وضع البريد في الإسلام^(١٨١)، كان معاوية عاقلا في دنياه كريم باذلال المال في الرياسة وابتدع نظاما جديدا في الخلافة اخرجها من دائرة الشورى والانتخاب إلى التعيين والوراثة ومن نظام الحكم الجمهوري إلى (نظام الحكم الملكي)^(١٨٢)، ولاه أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) قيادة احد الجيوش مددا لاختيه يزيد فكان غازيا على مقدمه الجيش في فتح مدن - صيدا - جبيل - و ولاه عمر (رضي الله عنه) ولاية الاردن^(١٨٣)، عمد معاوية إلى شراء بردة الرسول (صلى الله عليه وسلم) تيمنا بها وصارت عادة للخلفاء فيما

(١٧٨) أبي حنيفة محمد بن داود الدينوري، الاخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عمر، ط ١، (مصر: ١٩٦٠)، ص ٢١٥.

(١٧٩) اليعقوبي، مشاكله الناس لزمانهم، تحقيق: وليم ميلورد، ط ١، (بيروت: ١٩٦٢)، ص ١٦.

(١٨٠) نقلا عن أبو الشباب، احمد عوض، تاريخ الخلافة الأموية، (بيروت: ٢٠٠٨)، ص ٢٠-٢١.

(١٨١) ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ص ١٦٢.

(١٨٢) النجار، الدولة الأموية، ص ٤٤.

(١٨٣) الخضري، الدولة الأموية، ص ٥٣٢-٥٣٣.

بعد^(١٨٤)، وهو أول من اتخذ الخصيَّان في خدمته وأول من عبثت به رعيته وأول من اتخذ ديوان الخاتم وعلى قصة مكتوب (لكل عمل ثواب) وأول من أحدث الاذان في العيد^(١٨٥)، تمكن معاوية من تحقيق الاستقرار الداخلي والتوسع الخارجي وتناول الإدارة وحقق توازن قبلي واخضع المعارضة واحسن إلى كبار الشخصيات من الصحابة بهدف استقطابهم وبأشر أمور الدولة بنفسه^(١٨٦)، تمتع بالقدرة على الاستيعاب واستفاد من كل ما مر به من الأحداث كانت خبرته واسعة بسبب تقلبه في المناصب ولاه عمر (رضي الله عنه) الشام وأكسبته هذه الولاية خبرة سياسية اشتهر بالتواضع واعترف بخطبة خطبها للناس بان هناك خير من هو أفضل^(١٨٧)، شهدت الإدارة في عهده ما عرفت بالدواوين تطويرا متلزما مع التغير الذي طرا والذي أحدث طفرة كبيرة في حياة الدولة^(١٨٨)، والخبرة السياسية ليست وليدة في الإنسان بل تأتي عن طريق التدرج في المناصب السياسية أو العسكرية مع شغف صاحبها وتعلقه بها .

٣. وفاته

في سنة (٦٠هـ - ٦٧٩م) خطب معاوية قبل مرضه وقال: اني كزرع مستحصد وقد طالت أمرتي عليكم حتى مللتكم ومللتموني وتمنيت فراقكم وتمنيتم

(١٨٤) أبي محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة، الشعر والشعراء، (بيروت: ١٩٦٩)، ج ١، ص ٩١.

(١٨٥) السيوطي، تاريخ، ص ٢٢٩.

(١٨٦) اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ١٤٤؛ ابن خياط تاريخ الخلفاء، ص ١٨٨؛ الطبري، تاريخ، ج ٥، ص ١٦٦-١٦٧؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٣، ص ٢١١.

(١٨٧) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ١٢٥؛ الصلابي، معاوية بن أبي سفيان، ص ١٧٤-١٧٥.

(١٨٨) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج ٤، ص ١١٨؛ طقوش، التاريخ الوجيز، ٢١٦-٢١٧.

فراقني ولن يأتيكم بعدي من انا خير منه كما أن من قبلي كان خير مني من احب لقاء الله احب الله لقاءه اللهم اني قد احببت لقائك فأحبيب لقائي وبارك لي فيه^(١٨٩)، لقد اصبح معاوية متعبا في أواخر سني حكمه وضعف ونحل وكان يطلب أن يدعي له بالعافية^(١٩٠)، أصابته القرحة وكانت سبب موته^(١٩١)، أن هذا الرجل ونقص به معاوية كان لاينام الا قليلا بل انه كان يعمل طوال اليوم مسخرا اغلب وقته للرعية والدولة لقد اتعبته السياسة والحلم وأثقلت كاهله السنون والايام^(١٩٢)، وقبل موته رد نصف ماله لبيت المال تشبها بالخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)^(١٩٣)، لقد اوصى أن يدفن معه احد اثواب الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) وبعض من اضافره الكريمة وبعض من شعرة الشريف حيث كان قد اخذها في حياته للتبرك^(١٩٤)، توفي عن عمر ناهز الثامنة والسبعون^(١٩٥)، وفي رواية ذكرها المقدسيان معاوية مات وهو ابن ثمانين سنة^(١٩٦)، وحضر مراسيم الدفن الضحاك بن قيس الفهري ودفن معاوية بدمشق في موضع يعرف بالباب الصغير وكانت ولايته تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر وخمسة وعشرين يوما على وجه التقريب^(١٩٧)، مهما يكن من أمر فإننا لا نستطيع أن نخفي ما إضافة للدولة

(١٨٩) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٢٣٧.

(١٩٠) اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٢٢٥.

(١٩١) ابن سعد، الطبقات، ج ١، ص ٨٣.

(١٩٢) أبو الحسن علي بن الحسن المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: يوسف

اسعد داغر، ط ١، (بيروت: ١٩٧٣)، ج ٣، ص ٢٩.

(١٩٣) اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٢٢٦.

(١٩٤) النويري، نهاية الارب، ص ٣٦٩-٣٧٠.

(١٩٥) الطبري، تاريخ، ص ٣٢٧.

(١٩٦) البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، (مصر: د.ت)، ج ٦، ص ٨.

(١٩٧) اليعقوبي، تاريخ، ج ١، ص ٢٢٦.

الإسلامية في عهدة من تطورات وفتوحات وجهاد لفتح العديد من المدن على الرغم من بعض الأمور التي اثرت سلبا على كيان الدولة ولكن جل من لا يخطيء.

لقد حملت الدولة الأموية على عاتقها مواصلة نشر الإسلام في أرجاء المعمورة كذلك اتسعت الدولة في العصر الأموي اتساعا كبيرا على الرغم مما عانته من فتن داخلية تطلبت أموالا لاخمادها وتتضح معالم النفقات العسكرية وغيرها من ديوان الجند وغيره وبما أن موضوع البحث يخص الدواوين فلا بد من الحديث عنها.

المبحث الثالث

ال خليفة معاوية بن أبي سفيان مؤسساً لدولة بني أمية

كان بنو أمية بن عبد شمس بن عبد مناف سيداً من سادات قريش في الجاهلية ويعادل في الشرف والرفعة عمه هاشم بن عبد مناف في رئاسة قريش لقد كان أمية رجلاً تاجراً كثير المال ولديه كثير من الأولاد والمعلوم في ذلك الوقت أن كثرة العصبية القبلية وكثرة الأولاد كانا من أكبر أسباب السيادة بعد شرف النسب وكان حرب بن أمية قائد قريش كلها يوم الفجار وهو الذي تحمل الديات من ماله^(١٩٨)، لقد تولى معاوية بن أبي سفيان بعد وفاة أخيه يزيد على دمشق^(١٩٩)، ومع توليه الشام انطلق مع عمرو بن العاص لتحرير مصر، إذ أصبحت حماية الحدود الشامية للدولة الإسلامية منوطة به حيث جمعت الشام كلها لمعاوية في عهد عثمان (رضي الله عنه) فصار واليها العام ويولي على المناطق عمالاً من عنده وانتقل عبد شمس من سيادة في الجاهلية إلى سيادة في الإسلام^(٢٠٠)، قال الرسول محمد (ﷺ) ((الناس معادن فخيرهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا))^(٢٠١)، اشتهر معاوية بن أبي سفيان بالحلم كما كان يتوسم فيه الدهاء والحيلة قالت عنه أمة هند: والله لو جمعت قريش من اقطارها ثم رمى به

(١٩٨) محمد الخضري، الدولة الأموية، تحقيق: عبده علي كوشك، ط١، دار الفحاء للنشر، (دمشق : ٢٠٠٨)، ص ٥٢٨.

(١٩٩) عبد العزيز سالم، الدولة الأموية، (الاسكندرية : ١٩٣٧)، ص ٣١٧.

(٢٠٠) الخضري، الدولة الأموية، ص ٥٣١.

(٢٠١) رواه البخاري ومسلم، رقم الحديث ٩٦٥١.

في وسطها لخرج من أي اعراضها^(٢٠٢)، لقد كان خلقه وتسامحه همزة وصل بينه وبين من يعاملونه بشيء من الجفاء خصوصا من أفراد رعيته وكان لتخلقه بخلق الحلم والذي لم يخالطه ضعف منه الاثر الكبير الذي ساعده بنجاحه في تثبيت اركان دولته ومن القواعد التي بنى عليها معاوية سياسته هو توطيد الامن والاستقرار وتوفير أسباب العيش (المال)^(٢٠٣)، وكذلك اشتهر معاوية بكظم غيظه وعفوه عن الناس ساعده هذا على اجتماع الناس حوله، وكان معاوية يعطي حرية التعبير عن الرأي مادام ذلك في حدود التعبير أما إذا كان عكس ذلك فانه يواجهه بالسيف كما فعل مع الخوارج^(٢٠٤).

ومن الجدير بالذكر انه بعد مقتل الخليفة علي بن أبي طالب (عليه السلام) زالت عقبه كبيرة من أمام معاوية بن أبي سفيان رغم ذلك يجب الإشارة انه بعد مقتل الامام علي (عليه السلام) بكى معاوية فقالت له امراته تبكيه وقد قاتلته فقال لها: ويحك لاتدريين ما فقد الناس من الفضل والفقہ والعلم^(٢٠٥)، وبعد ذلك بايع الناس في الكوفة الحسن بن علي (عليه السلام) في حين بايع أهل الشام معاوية بن أبي سفيان^(٢٠٦)، وسار أمير المؤمنين الحسن بن علي بجيوشه نحو الشام وعلى مقدمته قيس بن سعد بن عباد وسار معاوية بن أبي سفيان بجيوشه والتقوا في ناحية الانبار^(٢٠٧)،

(202) عبد العزيز بن عبد الله الحميري، التاريخ الإسلامي، دار الدعوة، ط ١، (الاسكندرية: ١٩٨٨) ط ١، ص ٢٦؛ الصلابي، معاوية بن أبي سفيان، ص ١٦٥.

(203) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١١، ص ٤٤١.

(204) ذكره خالد الغيث في (مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري)، ص ٢٨١-٢٨٢.

(205) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١، ص ١٣٣.

(206) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٢٢-١٢٣؛ ينظر: ابن طبا طباء، الفخري في

الاداب السلطانية، ص ١٠٤؛ ينظر: طقوش، التاريخ الإسلامي، ص ١١٢.

(207) عبد الحي بن احمد بن محمد العسكري الحنبلي، شذرات الذهب في اخبار من ذهب،

تحقيق: عبد القادر الارنؤوط، ط ١، دار ابن كثير (دمشق: ١٤٠٦)، ص ٥٢.

ونجح معاوية في استقطاب قائد جيش الحسن قيس الانصاري من جهة اخرى شك الحسن في ولاء اتباعه وفقد الثقة بهم بعد ما انسلخت جماعه منهم وخرجت عليه وادرك أن موازين القوى مختلفة فاصطلحا فسلم الحسن الأمر لمعاوية^(٢٠٨)، أن الحسن تنازل عن الخلافة حين ادرك وبنفاذ بصيرة أن هذا الأمر ستراق فيه دماء كثيرة خصوصا وان الجو السياسي بدأت تتقشع غيومه الملبدة بالحروب وبدا يلوح نجم معاوية بن أبي سفيان في الافق فآثر الحسن بن علي (عليه السلام) وهدف من ذلك ابتغاء وجه الله وصالح الأمة وحقق دماء المسلمين ووحدتها بعد فرقتها جمع الحسن الأمة تحت راية واحدة كي لا تتمزق وتطمع بها الأمم وتبقى أمة واحدة متماسكة وقادرة للتصدي ضد من يهاجمها وقادرة على التحرير^(٢٠٩)، ولابد من الإشارة بان الحسن بن علي (عليه السلام) كان يملك من الملكات الخطابية والفصاحة البيانية وصدق العاطفة وقوة التأثير إضافة إلى قربته من رسول الله (ﷺ) فهو جده ما يجعله متماسكا وقويا لمواجهة شتى انواع التحديات ولكنه أراد الصلاح ونها الناس عن الخروج للقتال والمشاركة في الفتنة واسمعهم ما كان يسمعه من رسول الله (ﷺ) من التحذير في الاشتراك في الفتنة وانه يجب عليه ابقاء الأمة متماسكة لصلاحتها ووحدتها وقوتها^(٢١٠)، هذا الموقف الرائع هز المشاعر وقد سطر التاريخ هذا الموقف لكي يتبين للناس أن في كل زمان

⁽²⁰⁸⁾ شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي، أعلام ووفيات المشاهير والاعلام،

تحقيق: عبد السلام تدمري، ط ١، دار الجيل العربي، (بيروت: ١٤٠٧)، ص ٥.

⁽²⁰⁹⁾ محمد بن مسلم بن عبد الله، المغازي النبوية، تحقيق: سهيل زكار، (دمشق: ١٩٨١)،

ص ١٧٥.

⁽²¹⁰⁾ الطبري، تاريخ، ج ٥، ص ٥١٤.

شخصيات تقدر مقامهم بعدم الطمع بالمناصب ولم تلههم أمور الدنيا عما يجب أن يكونوا عليه (٢١١).

وقرر الحسن بن علي (رضي الله عنه) أن يخلع نفسه من الخلافة ويسلمها لمعاوية بن أبي سفيان على أن يكون الأمر بعده شورى بين المسلمين وفي رواية أخرى أن يظفر الحسن بها إذا مات معاوية ودخل معاوية الكوفة وبايعه الحسن (رضي الله عنه) (٢١٢)، ويذكر بان الحسن بايع بالخلافة سنة ٤١هـ وذلك كمال ثلاثين سنة من موت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فإنه توفي في ربيع الأول سنة إحدى عشر للهجرة (٢١٣)، وملك معاوية بن أبي سفيان وذكر في رواية أخرى أنه بويع بالكوفة في ذي القعدة سنة ٤٠هـ (٢١٤)، وقال ابن كثير كان تسلم الأمر أي الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان في الخامس من ربيع الأول سنة ٤١هـ وقال جماد الأولى والله أعلم (٢١٥)، وأصبح هذا الحدث من مفاخر الأمة التي تزدهو به على مر العصور وتوالي الدهور وقد التفت الأمة على زعامة معاوية ورضيت به أميرا عليها وابتهج خيار المسلمين بهذه الوحدة الجامعة بعد الفرقة المشتتة (٢١٦)، أن في مبايعه سبط الرسول (صلى الله عليه وسلم) الحسن لمعاوية فيها درسا بليغ هو الرجوع إلى القرآن وعدم الفرقة قال تعالى ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا

(211) محمد سيد الوكيل، الأمويون بين الشرق والغرب، ط ١، دار القلم، (بيروت: ١٩٩٥)، ص ٢٤٩.

(212) الطبري، تاريخ، ج ٥، ص ١٢٢-١٢٣؛ اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ١٢٤، ابن خياط، تاريخ، ج ١، ص ١٨٨.

(213) إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، (بيروت: د ت)، ج ٨، ص ١٥.

(214) اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٩٦.

(215) ابن كثير، ج ٨، ص ١٨.

(216) عباس محمود العقاد، معاوية بن أبي سفيان، (د ن : د ت)، ص ٢٥.

مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾^(٢١٧)، ومن القواعد المهمة التي قامت عليها سياسة معاوية هي مباشرة الأمور بنفسه وحرص على معرفة كل صغيرة وكبيرة^(٢١٨)، وبحكم حلم معاوية وسياسته التي أصبحت بيده لتحقيق مقاصد الشريعة والجهاد أصبح هو المنتفذ الأول بأمور السلطنة وهناك رواية على حمة روت عنه انه قال: يا بني اميه فارقوا قريشا بالحلم فوالله لقد كنت القى الرجل في الجاهلية فيوسعني شتما وأوسعته حلما وارجع وهو لي صديق أن استجدته أنجدي وأثور به فيثور معي لقد تميز معاوية بن أبي سفيان بالشدة ليخيف وثم يحتال حتى تمضي شدته فيبلغها^(٢١٩).

لقد كانت مدة الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان عشرين سنة غير سبعة أشهر ومات في نصف رجب سنة وله من العمر ثمان وسبعون سنة وفي أيامه حوصرت القسطنطينية وقتل حجر بن عدي^(٢٢٠)، وثارت عليه الخوارج^(٢٢١)، وكذلك في عهده وجه اهتمامه الأول إلى المغرب العربي لتحريره لأنها بلاد تتاخم حدود مصر الغربية من ناحية ومن ناحية أخرى تتاخم حدود الدولة البيزنطية العدو للدود الإسلامية آنذاك وان الخليفة معاوية صمم على تضيق الخناق عليها وعدم إعطائهم فرصة لالتقاط الأنفاس^(٢٢٢)، على كل حال أن العام الذي تسلم فيه معاوية الخلافة سمي (عام الجماعة) وفي ذلك الوقت

(217) سورة آل عمران: ١٠٥.

(218) عبد الشافي محمد عبد اللطيف، العالم الإسلامي في العصر الأموي، دار الاتحاد التعاوني للطباعة، ط٣، (مصر: ١٩٩٦)، ص ١١٧.

(219) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١١، ص ٤٤١؛ ابراهيم اليباري، معاوية الرجل الذي أنشأ دولة، (مصر: ١٩٦٢)، ص ٢٥٥.

(220) ابن حزم، أسماء الخلفاء، ج ٢، ص ١٣٩.

(221) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٨٢.

(222) الجوزي، المنتظم، ج ٥، ص ١٥٨.

رجع الناس للعصبية القبلية والتغالب فيما بينها وتعين بنو أمية على سائر العرب ومعاوية بن أبي سفيان يومئذ كبيرهم في السلطة ورجل الدولة الأول^(٢٢٣)، لقد كان خلفاء بني أمية أربعة عشر خليفة وأولهم معاوية بن أبي سفيان وآخرهم مروان الجعدي رجل الدولة المروانية^(٢٢٤)، ونذكر بأن الدولة الأموية تسلمها معاوية وانحصرت لديهم وسموا بالسفيانيين وكان آخر خلفائهم معاوية بن يزيد بن معاوية آخر خلفاء الفرع السفياني وانتقلت الخلافة بعد موته إلى الفرع الثاني من بني أمية المروانيين وأولهم مروان بن الحكم^(٢٢٥)، وكان آخر خلفاء الدولة الأموية من الفرع المرواني وهو مروان الجعدي وكانت مدة حكمهم نيفا وتسعين سنة وهي مدة ألف شهر تقريبا^(٢٢٦)، لقد نال معاوية ملكة بالدهاء والتدبير وكان الحظ إلى جانبه إلى امد بعيد سائر الحظ هذا التدبير ومكن الاثنان معا لمعاوية أن ينشئ الدولة هذا الرجل الذي وقع على عاتقه المسؤولية قيام الدولة وحمايتها والحفاظ على الرعية^(٢٢٧).

ويذكر أن الحسن بن علي (عليه السلام) جعل العهد من بعده لأخيه الحسين (عليه السلام) فكان أصحاب الحسن يقولون له يا عار المؤمنين فكان يقول: العار خير من النار^(٢٢٨)، وهنا ظهر صدق حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ردا على من أساء للحسن (عليه السلام) حيث قال الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) ((أن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به

(223) عبد الملك بن الحسين بن عبد الملك الشافعي العاصمي المكي، سمط النجوم العوالي في انباء الاوائل والتوالي، تحقيق: عادل احمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، (بيروت: د ت)، ج ٣، ص ١٠٩.

(224) الإبياري، معاوية الرجل الذي أنشأ دولة، ص ٢٦٤-٢٦٥.

(225) عماد الدين إسماعيل بن علي أبو الفداء، المختصر، (د ن: د ت)، ج ١، ص ١٧٢.

(226) محمد ضياء الرئيس، النظريات السياسية الإسلامية، ط ٧، (مصر: ١٩٧٩)، ص ٢٠٢.

(227) محمد سيد، الأمويون بين الشرق والغرب، ص ٢٩٠.

(228) الذهبي، أعلام ووفيات المشاهير والإعلام، ج ٤، ص ٥.

بين فئتين عظيمتين من المسلمين))^(٢٢٩)، ولما تم الصلح بشروطه برز الحسن (عليه السلام) وقال: أني قد اخترت ما عند الله وتركت هذا الأمر لمعاوية وقرأ قوله تعالى ﴿وَإِنْ أَدْرَىٰ لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَنَعُ إِلَىٰ حِينٍ﴾^(٢٣٠)، وكبر الناس فرحا واختلطوا من ساعتهم وتمت الخلافة لمعاوية والله الحمد^(٢٣١)، أن بتنازل الحسن (عليه السلام) اكتملت عوامل تولي معاوية للخلافة وتهيأت له جميع أسبابها وسجل هذا الحدث في ذاكرة الأمة واصبح هذا الحديث من مفاخر الأمة التي تزهوا بها على مر العصور وتوالي الدهور فقد التفت الأمة على زعامة معاوية ورضيت به أميرا عليها وكان الفضل في ذلك لله ثم للسيد الكبير مهندس المشروع الإصلاحي العظيم الحسن بن علي (عليه السلام)^(٢٣٢)، وقد تحدث عبد الرحمن السعدي فيما يخص الجهاد المتعلق بالمسلمين بقيام الألفة واتفاق الكلمة وان من أعظم الجهاد السعي في تأليف قلوب المسلمين واجتماعهم على دينهم ومصالحهم الدينية أولا والدنيوية ثانيا^(٢٣٣)، ويكفي معاوية فخرا أن كل الصحابة بايعوه في عهدة من الإحياء وبايعه علماء الصحابة والتابعين وعدوا خلافته شرعية وفي مبايعة سبط الرسول (صلى الله عليه وسلم) فهم عميق لآيات القرآن الكريم والنهي عن الاختلاف قال تعالى ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(٢٣٤)، لقد تحقق بفضل الله وبنجاح الحسن بن علي (عليه السلام) في صلحه مع معاوية بن أبي سفيان مقصد عظيم من مقاصد الشريعة الإسلامية وهذا المقصد كان من أهم أسباب التمكين لدين الله^(٢٣٥)، عاشت الدولة الأموية في الشرق قرابة تسعين عاما وتعاقب على الحكم

⁽²²⁹⁾ رواه مسلم والبخاري، رقم حديث ١٥٠٧.

⁽²³⁰⁾ سورة الأنبياء، الآية: ١١١.

⁽²³¹⁾ احمد بن محمد الحنبلي، شذرات الذهب، ط ١، ص ٥٢.

⁽²³²⁾ الصلابي، معاوية بن أبي سفيان، ط ٤، ص ١٥٦.

⁽²³³⁾ وجوب التعاون بين المسلمين، دائرة المعارف للنشر، (الرياض: ١٤٠٢هـ)، ص ٥.

⁽²³⁴⁾ سورة ال عمران، الآية: ١٠٣.

⁽²³⁵⁾ الصلابي، معاوية بن أبي سفيان، ط ٤، ص ١٦٥.

فيها اربعة عشر خليفة وكانوا يتوارثون الملك والسلطان فيرث الابن اباة والاخ اخاة وذو القرية قريبة (٢٣٦).

ولم يكن ذلك الاتجاه معروفا لدى المسلمين في حكومتهم السابقة أيام الخلفاء الراشدين (رضي الله عنه) وان هذا الملك العظيم أي ملك بني أمية الذي أسسه معاوية بن أبي سفيان بصبره وكفاحه ودهائه وسعه حيلته بداء يتخلل ويتأرجح ذات اليمين وذات الشمال أمام تلك الاعاصير الجائحة والفتن المتلاحقة ولو أن هناك عينا ساهرة تتعقب الداء في حينه وتقضي عليه قبل أن يستفحل ويتفاقم خطرة ل طال عمر الدولة الأموية مئات ومئات السنين لقد كان ضعف الحكام والولاء وتشبثهم بالعصبية القبلية وتشتتهم هي التي فرقّت وحدتهم وجعلت الدولة اضعف ومكن الأعداء وعجل نهايتها فانهارت في ربيع العمر وميعه الشباب بعد أن رفعت راية الإسلام خفاقة عالية في أقصى الارض (٢٣٧)، لكننا، نرى أن سقوط دولة الخلافة الأموية هو أمر طبيعي إذا نظرنا إلى الدول كما ننظر إلى الأفراد والكائنات الحية التي تمر بادوار ومراحل مختلفة من نمو وقوة وضعف ثم فناء والواضح أن سقوط الدولة الأموية لا يمكن أن يعزى إلى حادث فرد بل كان هناك جملة أسباب منها صراع الأسر الأموية والصراع القبلي والاختلافات المذهبية بالإضافة إلى أسباب عامة تكمن في التطورات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي برزت نتيجة التوسع في الفتوح والاحتكاكات مع الشعوب المجاورة عسكريا وحضاريا (٢٣٨)، أن معاوية مسك الدولة بيد من حديد وكان يملك الحكمة والدهاء والخبرة الادارية نتيجة ممارسته لها في بلاد الشام واقاليم العراق وبعض المناطق الشرقية له كفارس وخراسان وبرقة ومصر والحجاز

(٢٣٦) محمد طيب النجار، الدولة الأموية في الشرق بين عوامل البناء ومعاول الفناء، ط٣، (د ن : ١٩٧٧)، ص ٩٠.

(٢٣٧) النجار، الدولة الأموية، ص ٩٠.

(٢٣٨) المسعودي، مرج الذهب، ج ٣، ص ٢٢٨.

واليمن إضافة إلى الجزيرة^(٢٣٩)، لقد كان العصر الدولة الأموية مجالا خصبا للجهاد ورفع لواء الإسلام ولقد بدأت الفتوح الإسلامية مداها الواسع وضرب القادة المسلمون في هذا لمجال أروع الأمثلة في حين كانت تتصارع قوى الشر ويصول الشيطان بين القاعد والقائم ويقاثلون على هذا الأساس أخوانهم في الدين وكذلك خرجت شيعة الملل عن الدولة تحت شعار الدعوة لآل البيت ويقومون من اجل ذلك بثورات إضافة إلى ذلك كان هناك الزيديون^(٢٤٠)، يقفون موقف العداء السافر وغيرهم من أعداء الدولة في سائر البلاد المفتوحة كانوا معاول هدم وتدمير لهذه الدولة^(٢٤١)، وبما أن موضوع البحث يخص الدواوين على عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان فلا بد من الحديث عنها.

(239) أبو عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، (القاهرة : د ت)، ج ٢، ص ١٥.

(240) الزيدية: هم فرقه من فرق الروافض وبلغ تعداد فرقههم عشرون فرقة ينظر، طاهر أبو المظفر الاسفرايني، التبصير في الدين وتميز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، عالم الكتب، (بيروت: ١٩٨٣)، ط ١، ص ٢٣.

(241) النجار، الدولة الأموية، ص ١١.

الفصل الثاني

المبحث الأول

مفهوم الديوان لغة واصطلاحاً

الديوان لغة: وهو بكسر الدال وتفتح هو مجموع الصحف^(٢٤٢)، أما واصطلاحاً يطلق على الكتاب الذي يكتب فيه لأهل الجيش والعطية ويطلق على العمال الذين يقومون بأعمال الجنايات وحفظ حقوق الدولة فيما يخص الدخل والخرج وإحصاء عدد العساكر بأسمائهم وتقدير أرزاقهم ومقدر أعطياتهم ويطلق لفظ الديوان على المكان الذي يجلس فيه هؤلاء العمال ويقال أن السبب في تسميته بالديوان أن كسرى نظر يوماً إلى كتاب ديوانه وهم يحسبون على أنفسهم كأنهم يحدثون فقال: ديوانه^(٢٤٣)، وقيل أن كلمه ديوان هي اسم للشياطين باللغة الفارسية وسمي الكتاب بهذا الاسم لسرعه نفوذهم في فهم الأمور ووقوفهم على الجلي منها والخفي منها وجمعها لما شذ وتفرق^(٢٤٤)، لقد تنوع الكتاب في العصر الأموي فكان هناك كاتب للجند وكاتب للخراج وكاتب للرسائل وكاتب للشرطة وكاتب للقضاء^(٢٤٥)، وكان أعلى الموظفين على الدواوين مرتبه هو كاتب الرسائل فهو المؤتمن على أمور الدولة^(٢٤٦)، وكان كاتب الدواوين بالنسبة إلى الخليفة بمثابة الوزير وفعلاً أصبح كاتب الدواوين وزيراً في العصر

(242) الماوردي، الاحكام السلطانية، ص ١٠٧؛ ينظر الموريتاني، الرقابة الإدارية، ص ١٢٧.

(243) ديوانه: أي مجانيين بلغة الفرس، ينظر الموريتاني، الرقابة الإدارية، ص ١٢٧.

(244) المرجع نفسه، ص ١٢٧-١٢٨.

(245) محمد بن خلف بن حيان وكيع، اخبار القضاة، (د ن: د ت)، ج ١، ص ٢٨٦.

(246) عبد اللطيف عبد الرحمن العاني، إدارة بلاد الشام، (بغداد: ١٩٦٨)، ص ١٦٥.

العباسي^(٢٤٧)، وكذلك كان لكل ديوان كاتب لأنه كانت هناك حاجة ماسه لوجود كتاب كثير في كل الأقاليم الموجودة فكان لكل خليفة ولكل أمير كاتباً خاصاً بت يكتب كتبة^(٢٤٨)، لقد كانت توجد بعض من المواصفات لكتاب الدواوين الذين عملوا بت ومن هذه الصفات الحلم في موضع الحلم وكذلك العفة وكنمان السر والوفاء والإخلاص بالعهود والمواثيق وحسن الأدب ومعرفة بالكتاب والسنة والعلوم وكذلك معرفه بالفرائض بالإضافة إلى ذلك أن يكون حسن الخط وما إلى ذلك من عدد من المواصفات التي بإمكانها أن تقوم بتأهيلهم في مثل هذه الوظيفة^(٢٤٩).

ولم يكن لخليفة فقط يختار كتابة ممن يملكون مواصفات معروفة كالوثوق والحسب والنسب فذلك على سبيل المثال اختار الربيع بن زياد الحارثي^(٢٥٠)، الفقيه الحسن البصري كاتباً له^(٢٥١)، أما ما يخص نظام الدولة الأموية في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان فقد كتب له مجموعة من الرجال

(247) أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي، التنبيه والاشراف، (بيروت: ١٩٨١)، ص ٣١٠.

(248) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٨٤.

(249) لأبي عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري، الوزراء والكتاب، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، ط ١، (القاهرة: ١٩٣٨)، ص ١٥٩.

(250) الربيع بن زياد: هو الربيع بن زياد بن انس بن الديان كان انساناً متواضعاً تولى خراسان قتل مع لأبي موسى الاشعري شهيدا يوم تستر ينظر ابن سعد، الطبقات، ج ٦، ص ١٥٩.

(251) أبو عمر محمد ابن عبد ربه، العقد الفريد، تحقيق: سعيد العريان، ط ٢، (بيروت: د ت)، ص ٢٢٣.

ونذكر منهم عبيد بن اوس الغساني^(٢٥٢)، وعبد الرحمن بن دراج^(٢٥٣)، وسليمان بن سعيد^(٢٥٤)، وكان كاتب معاوية سرجون بن منصور الرومي حيث اشارت المصادر إلى أن هذا الرجل كان كاتب معاوية وصاحب أمره وسره^(٢٥٥)، ولم يكن معاوية ليختار كتابة الا من ذوي الحسب والنسب والشرف الموثوق بهم، فعبيد بن اوس الغساني وصف بأنه سيد أهل الشام^(٢٥٦)، لقد تسلم ديوان الخاتم في عهد معاوية، عبد الله بن محسن الحميري ونقش على خاتمه (لكل عمل ثواب) وقيل كان نقشه (لاحول ولا قوة الا بالله)، كان حاجبي معاوية سعد مولاة ثم صفوان مولاة^(٢٥٧)، لقد تعددت الدواوين مع اتساع الأعمال تدريجيا وتعدد الحاجات بتطور الاحوال فادى التطور إلى تعدد وتقدم نظام الدواوين الأموية خلال فترة حكمهم، حسب الحاجة التي تطلبتها المصلحة العامة للدولة آنذاك^(٢٥٨).

(252) عبيد بن اوس الغساني: هو عبيد بن اوس بن مالك بن سواد بن مظفر يكنى ابا الضمان وامه لميس بنت قيس بن امية سقط شهيدا بمعركة بدر الكبرى ينظر ابن سعد، الطبقات، ج ٣، ص ٤٥٣.

(253) عبد الرحمن بن دراج: هو عبد الرحمن بن دراج كتب لمعاوية بن أبي سفيان وهو مولى معاوية ينظر ابن سعد، الطبقات، ج ٦، ص ١٥٩.

(254) سليمان بن سعيد: هو سليمان بن سعيد بن نوفل بن الحارث بن هاشم وامه حميدة ينظر محمد بن سعد الهاشمي، القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم ج ١، ص ٣٩١.

(255) ابن خياط، تاريخ خليفة، ط ١، ٣١٨.

(256) ابن خياط، تاريخ خليفة، ط ١، ص ٣١٠.

(257) شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الارب في فنون الادب، تحقيق: محمد رفعت فتح الله واخر، (القاهرة: د ت)، ص ٣٠٠.

(258) الدوري، النظم الإسلامية، ص ١٩٤.

المبحث الثاني

الدواوين العسكرية على عهد الخليفة معاوية بن أبي

سفيان

١ - ديوان الجند:

لقد اهتم الخلفاء الراشدون (رضي الله عنهم) بالجيش وتنظيمه اقتداءا برسول الله (ﷺ) وعمر (ﷺ) أول من جعل الجند فئة مخصوصة^(٢٥٩)، علما مما سبق أن عمر بن الخطاب (ﷺ) انشا هذا الديوان ليكون سجل يحوي أسماء المقاتلين واعطياتهم^(٢٦٠)، لقد كان عدد المقاتلين كبيرا ويحتاج إلى ديوان لتسجيل الأسماء فيه وضبطه^(٢٦١)، وكانت اعطيات الجند من واردات الدولة (الخراج والجزية) فإذا نقصت الأموال من مصر فيعوض عنه من مصر اخر وهذا ما حصل خلال خلافة معاوية حيث انه عوض أهل الكوفة بواردات الدينور التي هي من فتوح أهل البصرة وعوض أهل البصرة من واردات نهاوند^(٢٦٢)، وفي عهد معاوية وبفضل التطور الذي حصل في الدولة وأجهزتها شمل هذا التطور العطاء في أن كان له مقاييس كالسابق والحاجة اصبحت في عهد معاوية بمقاييس

(259) علي نايف الشحود، موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة، (د.ن: د.ت) ، ج٤، ص١٠.

(260) لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي، الاحكام السلطانية والولايات الدينية، (بغداد: ١٩٨٩) ، ص٣٠٧؛ ينظر الدوري، النظم الإسلامية، ص١٤٦.

(261) توفيق سلطان اليوزبكي، دراسات في النظم العربية الإسلامية، (موصل: ١٩٧٧) ، ص١٧٤.

(262) البلاذري، فتوح، لجنة التراث، (بيروت: ١٩٧٣) ، ص٩٩.

أخرى هي الولاء للدولة والخدمة في قواتها ومؤسساتها ومثال ذلك تباري القبائل اليمنية والقيسية لظهار الولاء لمعاوية مقابل رضا الخليفة فضلا عن المكافآت المادية وغيرها^(٢٦٣)، وكان ديوان الجند يشرف على تجهيز الجند بالسلاح والأغذية وأدوات النقل^(٢٦٤)، وكانت هناك دقة عسكرية في توزيع متاع الجند^(٢٦٥)، كان ديوان الجند الذي استخدمه عمر (رضي الله عنه) أكبر مساعد له في تحسين نظام الجند وضبطه في الإسلام مما ساعد على تحسين استعداد المقاتلين الكامل عند خروجهم للجهاد^(٢٦٦)، (وكانت قوة الدولة^(٢٦٧) شبيهة بوزارة الدفاع في الوقت الحاضر).

لأتذكر المصادر المتيسرة تفصيلات عن عطاء الجند في عهد معاوية إلا أن البلاذري يشير إلى أن عدد مقاتلي البصرة على عهد زياد كان ٨٠ ألفا وغيالاتهم ٢٠ ألفا أما مقاتلة الكوفة فكان عددهم ٦٠ ألفا وغيالاتهم ٢٠ ألفا^(٢٦٨)، كان ديوان الجند منظما تنظيما دقيقا يسجل فيه أسماء الجند والأعطيات وحذف أسماء المتخلفين والمستشهدين في المعارك والمغفوين من الخدمة العسكرية ومن الجدير بالذكر أنه أصبح لكل مصر من الأمصار ديوانا للجند^(٢٦٩)، وكان من قد استكمل سنه أجريت عليه أحكام البالغين ويستحق سهم الغنيمة وكانوا يتعرضون

(263) عبد الأمير دكسن، الخلافة الأموية، ط ١، دار النهضة، (بيروت: ١٩٧٣)، ص ١٤٣.

(264) من كتب البحوث العلمية وعنوانه، باب المراد في قوله تعالى، ج ١، ص ١٠٣.

(265) محمد رشيد رضا، مجلة المنار، العدد ١٩، ج ٥، ص ٧٧٨.

(266) الشهود، المفصل في شرح آية لا أكراه في الدين، (د.ن: د.ت)، ج ٣، ص ١٣٣.

(267) العسكري، الاوائل، ص ٢٣٧.

(268) انساب الاشراف، تحقيق: احسان عباس، (بيروت: ١٩٧٩)، ج ١، ص ٢٢٠-٣٦٢.

(269) الطبري، تاريخ، ج ٥، ص ٥٠٤.

من يخرج للقتال فمن يجدوه اهلا يستصحبونه^(٢٧٠)، وفرقوا بين المقاتلة وغيرهم في(العطاء) والعطاء هو الرزق الذي يجمع في بيت المال ويفرق على مستحقه^(٢٧١)، وان تجهيز المقاتلة وغيرهم كان من ديوان الجند فان لم يوجد من بيت المال وان لم يوجد من أفراد المسلمين واغنيائهم^(٢٧٢)، عمل معاوية على تحسين حالة الجند الاجتماعية فزاد اعطياتهم بسبب الظروف المستجدة وكان يتفقد احوال القبائل وجعل لكل قبيلة بمصر رجلا يدور على المجالس ويقول: هل ولد لكم مولود وهل نزل بكم نازل فيقال : ولد لفلان غلام وفلان جارية فيقول: سموهم فإذا فرغ من القبائل اتى الديوان^(٢٧٣)، ولقد كان سلم رواتب الجند في عهد معاوية كالاتي: شرف العطاء المرتب ٢٠٠٠ درهما عطاء العرب فئة أ- ٣٠٠٠ درهم فئة ب- ١٠٠٠ درهم وفئة ج- ٥٠٠ درهم أما نفقات رواتب الجند عهد معاوية فهو كالاتي: في مصر عدد المسجلين ٤٠,٠٠٠ جندي مجمل عطائهم ٨٠٠٠,٠٠٠ درهم في الشام عدد المسجلين ٦٠,٠٠٠ جندي الدخل السنوي لكل جندي كان ألف درهم وديوان البصرة عدد المسجلين ٨٠,٠٠٠

(270) بدر الدين محمود بن احمد العيسى، عمدة القارئ في شرح صحيح البخاري، دار احياء التراث العربي، (بيروت: د.ت)، ج ١٣، ص ٢٤١.

(271) عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلات، تحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذي، دار الكتب العلمية، (بيروت: د.ت)، ج ٥، ص ٣٠١.

(272) مجموعة من العلماء، من كتب المقال وعنوانه، الموسوعة الفقهية الكويتية، لابو عمر، ص ٤٥.

(273) السيوطي، حسن المحاضرة، ط ١، (بغداد: ١٩٨٧)، ج ١، ص ٦٥.

مقاتل مرتبهم ٣٦٠٠٠,٠٠٠ درهم^(٢٧٤)، الدرهم اسم للمضروب المدور من الذهب والفضة ولها وزن المئاقيل ولها سبعة اوزان^(٢٧٥).

منها يكون ١٤ قيراط وتكون العشرة ٧ مئاقيل والمائتان وزن ١٤ امتقالا هذا في الجاهلية وبعد الإسلام جمعوا الثقيل والخفيف فجعلوها درهمين فكانت العشرة في هذه الدراهم وزن ٧ مئاقيل وكان هذا الجمع في عهد دولة بني أمية^(٢٧٦)، إضافة إلى ذلك اهتمت الدولة الأموية بتطوير سلاح القوة البحرية وقد بلغ عدد قطع الاسطول البحري في بداية تكوينه مائتي مركب وتطور مع مرور الزمن وبلغ على عهد سليمان بن عبد الملك ألف وثمان مئة سفينة كبيرة^(٢٧٧)، كان لهذه القوة البحرية اكبر الاثر في اتساع الدولة الإسلامية^(٢٧٨)، وقد وضع المسلمون ايديهم على موانئ هامة وجزر ذات أهمية حربية مثل قبرص سنة ٢٩هـ - ٦٤٩م وكذلك رودوس^(٢٧٩)، ولقد تولى كتابة ديوان الجند في عهد معاوية بن أبي سفيان بدمشق عمرو بن سعيد بن العاص^(٢٨٠)، اورد لنا مصدر بعض من تولى كتابة الجند عهد معاوية منهم مسلمة بن مخلد^(٢٨١)، وعمرو بن

(274) عصام هشام عيروس، التطور الاقتصادي في العصر الأموي، (جامعة ام القرى:

د.ت)، ص ٩٨؛ ينظر الصلابي، معاوية بن أبي سفيان، ص ٢٥٧-٢٥٨.

(275) المطرزي، البيان المغرب في ترتيب المغرب، (د.ن: د.ت)، ج ١، ص ٢٨٦.

(276) الطرزي، البيان المغرب، ج ١، ص ٢٨١.

(277) البلاذري، فتوح، ص ١٠٢.

(278) حسن وعلي ابراهيم حسن، النظم الإسلامية، ص ٢٠٢.

(279) البلاذري، فتوح، ص ١٥٧-١٥٨، ينظر، عادل عواد، جيش دولة المرابطين في عهد

يوسف بن تاشفين، اطروحة دكتوراه، (جامعة لاهاي الدولية: ٢٠١٠)، ص ١٧٢.

(280) البلاذري، انساب الاشراف، ج ٤، قسم ٢٢، ص ٨٣.

(281) هو مسلمة بن مخلد بن الصامت بن لوزان بن عبدو بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج من

الانصار يكنى ابا معمر اسلم وعمره ٤ سنين نزل بمصر وصف بالنباهة مات في عهد

نافع وكان عبدالملك بن مروان كاتب ديوان الجند في خلافة معاوية^(٢٨٢)، لقد كان لديوان الجند اثار عظيمة برزت خلال المعارك والفتوحات العربية الإسلامية وقد اولى الخلفاء اهتماما كبيرا به فهو عماد الدولة^(٢٨٣)، وقد كان قادة الجند يستخدمون الاعلام لمعرفة اتجاه جنودهم وكانت هذه الاعلام تدل على الرياح^(٢٨٤)، إذا ترك ديوان الجند اثار عظيمة للدولة^(٢٨٥).

٢- نظام الشرطة:

العسس (العاس) هو من يطوف في الليل ويحرس الناس ويكشف أهل الريبة وجمعها عس - عساس - عسسه^(٢٨٦)، والعس طلب الشيء^(٢٨٧)، وقيل طلب الشيء بليل^(٢٨٨)، بعد نزول الآية الكريمة قال تعالى ﴿وَاللَّهُ يَعْصُمُكَ مِنْ

-
- معاوية؛ ينظر أبو بكر عبدالله بن محمد بن لأبي شيبه الكوفي، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، ط١، مكتبة الرشيد، (الرياض: ١٤٠٩)، ج٥، ص٥٨.
- (282) لأبي القاسم بن هبة الله الشافعي، تاريخ دمشق، تحقيق: محب الدين واخر، دار الفكر، (بيروت: ١٩٩٥)، ج٤٦، ص٣٥.
- (283) مجموعة من العلماء، موسوعة الرد على المذاهب، دار الفكر، (بيروت: ١٩٩١م)، ج٧٧، ص١٥٧.
- (284) الموسوعة العربية العالمية، باب العلم، ص٢.
- (285) الشهود، موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة، ج٥٧، ص٢٨٧.
- (286) ابراهيم مصطفى واخرون، المعجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة (السعودية: د.ت)، ج٢، ص٦٠٠.
- (287) ابن دريد، جمهرة اللغة، تحقيق: منير البعلبكي، ط١، (بيروت: ١٩٨٧)، ج١، ص١٣٣.
- (288) ابن دريد، جمهرة اللغة، ج١، ص١٠٠٨.

النَّاسِ ﴿٢٨٩﴾، خرج الرسول محمد (ﷺ) على الناس واخبرهم بها وصرف الحرس (٢٩٠)، وكان قيس بن عبادة الساعدي الانصاري بمنزلة صاحب الشرطة (٢٩١)، ولقد خدم قيس بن عبادة النبي محمد (ﷺ) لمدة عشر سنين تقريباً (٢٩٢)، وقال أبو حيان التوحيدي: "بما يخص العسس معناه طلب في الظلمة ومنه العسس (٢٩٣)، وقال تعالى ﴿وَأَلَّيْلَ إِذَا عَسَّسَ﴾ (٢٩٤)، وزيادة على أن كلمة عس تعني الحرس قال عبدالله بن العباس في هواة لجارية نصرانية احبها:

قلت ياسؤالي ويا بدر الدجى في ظلم الليل مخفت العسس
قال قد خفت ولكن الهوى اخذ مني بالروح والنفس (٢٩٥)

يتبين لنا من هذا البيت أن كلمة العسس معروفة عند الإسلام قديماً وتطورت تسميتها فيما بعد إلى (الشرطة) وهم نخبة من الحراس شاركوا في حفظ النظام وشاركوا في المعارك (٢٩٦).

أن مفردة الشرطة هي كلمة تطلق على الأفراد والجند الذين يعتمد عليهم الخليفة أو الوالي للمحافظة على الارض والقبض على الجناة والمفسدين (٢٩٧)، ورد ذكرها في القرآن قال تعالى ﴿قَالُوا يَكْفُؤُهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا

(289) سورة المائدة ، الآية ٦٧.

(290) محمد بن لأبي بكر ايوب الزرعي، زاد المعاد، تحقيق: شعيب الارناؤوط واخر،

(مؤسسة الرسالة: ١٩٨٦)، ج ١، ص ١٢٧.

(291) الاندلسي، جوامع السيرة، ج ١، ص ٢٧.

(292) الطبراني، المعجم الكبير، ط ٢، ج ١٨، ص ٣٤٧.

(293) البصائر والذخائر، تحقيق: داوود القاضي، (بيروت: ١٩٩٩)، ج ٥، ص ٨٤.

(294) سورة التكوين، الآية ١٧.

(295) عبد الحي الكتاني، التراتيب الإدارية، ج ٢، ص ٤٣٩، ص ٣٩٠، ص ٣٨٨.

(296) الاصبهاني، الاغانى، ج ٩، ص ٢٦٤-٢٦٥.

(297) العلي، النظم الإسلامية، ص ١٨٩.

مَكَانَهُ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ (٢٩٨)، واصطفا شرطى وجمعها شرط وسموا بذلك لانهم ميزوا انفسهم بعلامات خاصة (٢٩٩)، بداء هذا النظام في عهد الخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم) وكان نظام العسس نواة هذا النظام وتطور فيما بعد نتيجة تطور المجتمع فكان لابد من جهاز امني يوفر للبلد الامن والاستقرار (٣٠٠)، وكان هناك مسؤول يسمى صاحب الشرطة ويذكر أن عثمان (رضي الله عنه) هو أول من اتخذ صاحب شرطة له وهو رجل من قریش اسمه (عبدالله بن قنفذ) (٣٠١)، أما ما أشار إليه عبد المنعم ماجد من أن الشرطة وظيفة اوجدها معاوية للحراسة وقت الصلاة أو هي اده لتنفيذ سياسته (٣٠٢)، فهذا غير صحيح لان ماجد مزج بين الشرطة كوظيفة وبين الحرس الخاص .

لقد كانت الشرطة في بداية الأمر مناطه بالقضاء ثم اصبحت للشرطة مهام كالنظر في الجرائم ومعاونه عمال الحسبة (٣٠٣)، ومساعدة عمال الخراج ومتابعة الفساق (٣٠٤).

-
- (٢٩٨) سورة يوسف ، الآية ٧٨ .
- (٢٩٩) اليوزبكي، دراسات، ص ١٤٧ .
- (٣٠٠) ابراهيم سلمان شرف الدين الكروي، المرجع في الحضارة العربية الإسلامية، ط ٢، (بيروت: ١٩٨٧) ، ص ٩٥ .
- (٣٠١) ابن خياط، تاريخ، ص ١٥٧ .
- (٣٠٢) تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ٥٧ .
- (٣٠٣) الحسبة: عاملها يسمى المحتسب هو شخص يكلف بمراقبة الاسواق والمكاييل ويتفقد الصناعات. ينظر: الصالح، النظم الإسلامية، ص ٣٢٨، الكروي، المرجع في الحضارة، ص ٨٧، وذكر بان الحسبة نشأت في عهد الرسول (ﷺ) وهي من الولايات الدينية، ينظر: اليوزبكي، دراسات، ص ١٦٠، ولم يذكر المؤلفين أي أثر لمحتسب على عهد معاوية والله اعلم.

كان للشرطة في عهد معاوية دور مهم في الحياة السياسية والإدارية ولعبت دوراً مهماً في بحفظ النظام وتبذوا مهمتهم جلية في القبض على مخلي الأمن كما ساهموا في ضرب حركات الخوارج^(٣٠٥)، باكثر من مناسبة مما يدل على كثرة عددهم^(٣٠٦)، لقد كان صاحب الشرطة ذا مكانة عالية سواء عند الخليفة أو الامير وقد يكون نائباً للامير إذا غاب عن مصر^(٣٠٧)، وقد يعطى منصب إداري كأمر فقد كان الضحاك بن قيس صاحب شرطة ثم أصبح اميراً على الكوفة وعبدالله بن عمرو صاحب شرطة الحرث بن عبدالله أمير البصرة تولى هو الآخر منصب لوالي البصرة^(٣٠٨)، ومما علمناه فان الشرطة غير مسؤولة عن صد أي هجوم خارجي^(٣٠٩)، وربما كانت تحل محل الجند في حال غيابهم واشتراكهم في الغزوات وهي للمجتمع لأنها تعمل على توطيد الأمن والاستقرار فهي الجهة الوحيدة المسؤولة عن حماية أرواح الناس وحفظ حقوقهم من اعتداء بعضهم على بعض^(٣١٠)، لقد كان بعض الامراء يتخذ اكثر من صاحب شرطة له فقد كان لكل من الجعد بن قيس وعبدالله بن حصن يمشيان

⁽³⁰⁴⁾ الجاحظ، البيان والتبيين، ج ٢، ص ٢٥٦، البلاذري، انساب الاشراف، ج ١، قسم ٤، ص ٢١٧.

⁽³⁰⁵⁾ الخوارج: هم عصابة خرجوا عن الدين واستحلوا الدم الحرام واخذوا الاموال ظهروا في زمن عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، وقاتلهم علي ابن أبي طالب (رضي الله عنه). ينظر: لأبي محمد عبدالله بن الحكم، سيرة عمر بن عبدالعزيز، تحقيق: احمد عبد، ط ٦، عالم الكتب، (بيروت: ١٩٨٤)، ج ٢، ص ٧٥٠.

⁽³⁰⁶⁾ اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٢٢٥.

⁽³⁰⁷⁾ الطبري، تاريخ، ج ٥، ص ٢١٦، ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٢، ص ٢٠٥.

⁽³⁰⁸⁾ العاني، إدارة بلاد الشام في العهدين، ص ١١٥.

⁽³⁰⁹⁾ الدينوري، الاخبار الطوال، تحقيق: احمد بن داوود، (بيروت: د.ت)، ص ٢٠٥.

⁽³¹⁰⁾ الجاحظ، البيان والتبيين، ص ٢٥٦، ينظر: الاصفهاني، الاغاني، ص ١٠-١٦.

بين يدي زياد بن أبي سفيان^(٣١١)، وثمة ملاحظة مهمة جدا هي انه قد تولى بعضهم القضاء والشرطة معا فمروان بن الحكم عين مصعب بن عبد الرحمن على القضاء والشرطة كما جمعت لعابس بن حبيب على يد مسلمة بن مخلد في مصر^(٣١٢)، فلم نجد في المصادر المتيسرة عن ارزاق صاحب الشرطة أو الشرط ولكن من خلال منزلتهم فعلى ما يبدو أن رواتبهم كانت عالية^(٣١٣)، أما ما ورد عند الطبري من انهم من أهل الحمراء فيبدو أن اغلبهم كانوا من غير العرب، وكان صاحب الشرطة يستعمل القوة بأمر من السلطان^(٣١٤).

وقد وفق معاوية في اختيار اعوانه من الرجال الموثوق بهم وبولايتهم وخبراتهم الادارية مع حكمتهم الادارية منهم على سبيل المثال لا الحصر(عمر بن العاص السهمي - والمغيرة بن شعبة الثقفي - وزياد بن ابيه - والضحاك بن قيس الفهري - وعبدالله بن عامر - وكان من بينهم قادة مثل المهلب بن أبي صفرة - وعقبة بن نافع الفهري - ومالك بن هبيرة - وجنادة بن أمية الازدي)^(٣١٥)، لقد تولى في الكوفة قبيصة بن الدمون^(٣١٦)، ثم تولاهما شداد بن

(³¹¹) ابن سعد، الطبقات، ج ٥، ص ١١٥.

(³¹²) اليوزبكي، دراسات، ص ١٤٩.

(³¹³) تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٢٨١، ينظر: اسماعيل ثابت الراوي، العراق في العصر الأموي من الناحية السياسية والادارية والاجتماعية، ط ١، (بغداد: ١٩٧٠)، ص ٦٢.

(³¹⁴) ابن خلدون، المقدمة، ص ١٤٩.

(³¹⁵) البلاذري، انساب الاشراف، ج ١، قسم ١، ص ١٣١.

(³¹⁶) قبيصة بن الدمون: هو قبيصة بن الدمون بن عبيد بن مالك بن دهقل بن ذي الم بن الصدف الصدفي. ينظر: عز الدين بن الاثير الجزري، أسد الغابة في معرفه الصحابة، تحقيق: عادل احمد، ط ١، دار احياء التراث العربي، (بيروت: ١٩٩٦)، ص ٤٠٣-٤٠٤.

الهيثم الهلالي^(٣١٧)، على عهد زياد ثم زائدة بن قدامه الثقفي عهد عبد الرحمن بن أم الحكم^(٣١٨)، أما في البصرة فإن أول من تولى صاحب الشرطة هو حبيب بن شهاب على عهد عبدالله بن عامر ثم تولاهما عبدالله بن عمرو على عهد الحارث بن عبدالله^(٣١٩)، يروي البلاذري كيف استتب الأمن في البصرة في عهد زياد وذلك في حادثة مفادها أن زياد سمع اصواتاً بين العامة، فسأل عن السبب ف قيل له أن احداً قد استاجر من يحمي بيته، وذلك لعدم وجود شرطة وانتشار السراق وفي اليوم التالي أمر زياد صاحب الشرطة أن تقوم الشرطة بحراسة الطرقات ليلاً بعد صلاة العشاء^(٣٢٠)، وتولاهما كذلك اثنان هما عبدالله بن محسن والجعد بن قيس لزياد بن أبي سفيان ثم عباد بن حصين الحبطي الذي كان على شرطة عبدالرحمن بن سمرى بسجستان^(٣٢١)، ثم تولاهما بشر بن عتبة عهد زياد سنة ٤٧هـ - ٦٦٧م^(٣٢٢)، وعبدالله بن حصن الذي تولاهما لكل من عبدالله بن عمرو وعبيدالله بن زياد^(٣٢٣)، أما في دمشق فلم تسعفنا المصادر عن من تولى

(317) شداد بن هيثم الهلالي: هوشداد بن هيثم الهلالي بن عامر بن صعصعة وهو من بني هلال. ينظر: ابن عبدالبر، الاستيعاب، ج ٣، ص ١٢٧٣.

(318) الطبري، تاريخ، ص ١٧٠.

(319) النويري، نهاية الأرب، ص ٣١٥.

(320) انساب الإشراف، ج ٤، ص ١٧١.

(321) سجستان: وهي معروفة على السنة العجم في المشرق وهي مدينة فارسية من مدن خراسان. ينظر: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس، تحقيق: مجموعة من المحققين، (دار الهداية: د.ت)، ج ٤، ص ٥٤٠.

(322) البلاذري، انساب الإشراف، ص ١٧٤.

(323) الطبري، تاريخ، ص ٢٠٠.

الشرطة لاجناد الشام^(٣٢٤) لكنهم ذكروا فقط دمشق باعتبارها العاصمة حيث كان يتولاها لمعاوية.

وقيس بن حمزة الهمداني^(٣٢٥)، الذي عزل^(٣٢٦)، ليتعين بدله زميل (زميل) بن عمرو العذري ويقال السكسكي وهو صحابي جليل^(٣٢٧)، ثم تولاها الضحاك بن قيس وهو أيضا صحابي وهذا الرجل يذكر بأنه صلى على معاوية عند وفاته^(٣٢٨)، أما في الحجاز فلم نعثر على اسم لصاحب الشرطة لمروان بن الحكم في ولايته الاولى (٤٢ - ٤٨ هـ) (٦٦٢ - ٦٦٨ م) فيما أشار ابن الكلبي إلى أن ابا سلمة عبدالله بن عبدالرحمن بن عوف كان على شرطة سعيد بن العاص في ولايته على الحجاز (٤٩ - ٥٤ هـ) (٦٦٩ - ٦٧٣ م) وربما انه تولى القضاء والشرطة^(٣٢٩)، أما في ولاية مروان الثانية (٥٤ - ٥٧ هـ) (٦٧٣ - ٦٧٦ م) فقد تولى الشرطة والقضاء مصعب بن عبدالرحمن بن عوف وكلا الاثنين من بني زهرة^(٣٣٠)، أما عمرو بن زمعة فلم تشر المصادر انه تولى الشرطة حيث تولى القضاء فقط^(٣٣١)، وربما تولى الشرطة والقضاء؟ وفي مصر تولى خارجة بن

(324) ابن خياط، تاريخ، ص ٢١٨، ينظر: ابن حبيب، المحبر، ص ٣٧٣.

(325) قيس بن حمزة الهمداني: هو قيس بن حمزة بن مالك بن سلمه بن عدي بن سعد ابن جشم بن خيران بن نوف بن همدان تولى شرطة معاوية وكان من أجود أهل الشام. ينظر: علي بن الحسن الشافعي، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: محب الدين، دار الفكر (بيروت: ١٩٩٥)، ج ٤٩، ص ٣٧٨.

(326) ابن خياط، تاريخ، ص ٢١٨.

(327) ابن عساكر، تهذيب، ص ٣٨٦.

(328) اليعقوبي، تاريخ، ج ٥، ص ٤٥.

(329) جمهرة النسب، ص ٢٤٦.

(330) ابن سعد، الطبقات، ج ٥، ص ١١٧.

(331) ابن وكيع، اخبار القضاة، ج ١، ص ١٢٠.

جذامه وهو صحابي جليل الشرطة على عهد عمرو بن العاص^(٣٣٢)، ثم تولاهما زكريا بن جهم^(٣٣٣)، ثم عابس بن سعيد المرادي^(٣٣٤)، ثم اعيد السائب بن هشام والى سنة ٥٧هـ - ٦٦٧م ثم عين بدله عباس بن سعيد المرادي مرة اخرى وجمع له القضاء والشرطة إلى وفاه معاوية^(٣٣٥).

ولقد كان للشرطة مكانه مميزة بسبب الواجبات المهمة التي كانت تقوم بها هذه المؤسسة تجاه السلطان والمجتمع ومن هذه الواجبات:

أ- حماية الخليفة وولاية الأمصار ضد أعدائهم في الداخل:

علمنا أن أول من استخدم الشرطة للحماية الشخصية الخليفة معاوية مؤسس الدولة الأموية الذي خاض صراعات عنيفة مع معارضيه من الخوارج وغيرهم وكان الشرطة يحرسون معاوية بشكل دائم في حلة وترحالة بل حتى خلال وقت الصلاة كان هناك حارس يقف عند راسه وهو يصلي في المحراب وعلى ما يبدو أن الخليفة كان يسير بين يديه صاحب الشرطة متقلدا كامل سلاحه وكان صاحب الشرطة المسؤول الأول عن سلامه الوالي^(٣٣٦)، أن ظهور صاحب الشرطة في مقدمة موكب الخليفة أو الوالي في الأماكن العامة ليس دليلا فقط على الحماية بل لاشعار العامة أيضا بالهيمنة والسلطة إضافة إلى ذلك كانت الشرطة اداة بيد الخليفة والولاية لفرض سلطة الدولة ضد الذين يحاولون التمرد

⁽³³²⁾ شهاب الدين لأبي الفضل بن حجر العسقلاني، الاصابة في تميز الصحابة، ط ١، (مصر: ١٣٢٨)، ج ١، ص ٣٩٩.

⁽³³³⁾ أبو عمر محمد بن يوسف الكندي، الولاية واخبار القضاة، تحقيق: زفن كست، (بيروت: ١٩٠٨)، ص ٣٥.

⁽³³⁴⁾ عبد الرحمن بن عبدالله بن الحكم، فتوح مصر واخبارها، (لیدن: ١٩٢٠)، ص ٢٣١.

⁽³³⁵⁾ الكندي، الولاية واخبار القضاة، ص ٣٩.

⁽³³⁶⁾ الطبري، تاريخ، ج ٦، ص ١٣٨.

عليها أو معارضتها^(٣٣٧)، وكانت تعين الخليفة على جمع المعلومات فقد كان معاوية قد بلغ من اهتمامه في الحصول على إخبار عمالة ورعيته وبث عيونه في كل ناحية فكانت تصله الاخبار أولا بأول فانتظم أمره وطالت في الملك مدته^(٣٣٨)، وسار زياد بن ابيه على مسيرة معاوية ومما يحكى عنه: أن رجلا كلمه في حاجة له فتعرف عليه وهو يضمن انه لايعرفه فقال: أصلح الله الامير انا فلان بن فلان. فتبسم زياد وقال: أنتعرف الي وانا اعرف منك بنفسك، والله اني لاعرفك واعرف أباك وأمك وجدك واعرف هذا البرد (البرد كساء مخطط يلتحف به) الذي عليك وهو لفلان فبهت الرجل وأرعد حتى كاد يغشى عليه^(٣٣٩).

ب - معاقبة المذنبين والخارجين عن القانون:

الشرطة بحكم كونها القوة الرئيسية المسؤولة عن حفظ الأمن والنظام داخل المدن إضافة إلى واجبها فرض القانون ولكن الأحوال الاجتماعية في المدن الكبرى كانت تدفع الشرطة إلى اتخاذ اجراءات مشددة تجاه العامة^(٣٤٠)، ويروي البلاذري أن زياد أمر صاحب الشرطة بحراسة الطرقات وقتل كل من يوجد خارج منزلة ليلا ويذكر أن زياد لم يتردد في تنفيذ ما توعد به^(٣٤١).

(337) ارسن موسى رشيد، الشرطة في العصر الأموي، ص ٧٩.

(338) ابراهيم محمد البيهقي، المحاسن والمساوي، ص ١٤٣-١٤٤

(339) المصدر نفسه، ص ١٤٤.

(340) الطبري، تاريخ، ج ٦، ص ١٣٦.

(341) انساب الأشراف، ج ٤، ص ١٧٢؛ ارسن موسى رشيد، الشرطة في العهد الأموي،

تحقيق: احمد مبارك، مكتبة السندس، (الكويت: ١٩٩٠)، ص ٨٣.

ج - تنفيذ العقوبات الشرعية:

من الواجبات التي كانت الشرطة تقوم بها تنفيذ الحدود الشرعية التي يأمر بها القضاء ضد كل من يظهر منه فساد في المجتمع الإسلامي والحدود الشرعية كما هو معروف في القران الكريم والسنة النبوية^(٣٤٢)، ومن واجبات الشرطة مساعدة الجيش ضد اعداء الدولة وتنفيذ احكام الاعدام والتعذيب للمناوئين السياسيون كل مايتصل بالسجناء عند صاحب السجن وان كانت الواجبات الاخيرة تتضح ملامحها في عهد الخلفاء الذين بعد معاوية اكثر^(٣٤٣).
تعتبر الشرطة العمود الفقري للجهاز الامني وكان هناك مؤسسات لعبت دورا مشابها ومكملا للشرطة وهذه المؤسسات هي:

- الحرس:

استخدمت كلمة حرس في بدايات العصر الأموي لوصف كل من يقوم بمهمة الحراسة ومعاوية أول من اتخذ الحرس لحمايته استخدم الحرس كقوة امنية إلى جانب الشرطة^(٣٤٤)، وكان هناك نوعان من الحرس:
أ- الحرس الخاص:

فهو حرس الخليفة يقوم بحراسته فبتطور المجتمع اتخذ الخليفة حرسا خاصا له يرافقه في تجواله ويحميه من الأعداء وربما كان ذلك مظهرا من مظاهر الابهة أو لحراسة القصر^(٣٤٥)، لقد كان لمعاوية حارسا منذ أن كان اميرا

⁽³⁴²⁾ نمر محمد الحميداني، ولاية الشرطة في الإسلام، ط٢، دار عالم الكتب، (الرياض: ١٩٩٤)، ص ٨٣.

⁽³⁴³⁾ ارسن موسى، الشرطة في العهد الأموي، ص ١٢٢.

⁽³⁴⁴⁾ ارسن موسى، الشرطة في العهد الأموي، ص ١٢٨.

⁽³⁴⁵⁾ الدينوري، الاخبار الطوال، ص ٢١٥.

على الشام وان اختلفت المصادر في تسميته^(٣٤٦)، كما كان للامراء في الامصار حراسا وقد يكون لصاحب الحرس من ينوب عنه^(٣٤٧).

ب - الحرس العام:

وهو أن صحت تسميته بذلك فقد يكون مجموعه من الشرطة تعمل ليلا ووردت اشارة أن الحرس هم الشرطة وربما هم حرس فقط ليحرسوا مؤسسة معينة لاي طارئ قد يحدث وخاصة من الخوارج وورد أن زياد اتخذ حراسا بلغ عددهم (٥٠٠) رجل سموا رابطة كانوا لايفارقون المسجد^(٣٤٨).

ج - الحرس من غير العرب:

عرف العرب قبل قيام الدولة الأموية بعض الألفاظ الأجنبية التي تطلق على الحرس الذين كانوا يحرسون بيت المال في البصرة وهذه الألفاظ هي الاساورة والسيابجة والزط^(٣٤٩)، والاساورة اقوام من الفرس، والسيابجة والزط اقوام ينحدرون على ما يبدو من الهند ومما يبدو أن الولاة كانوا يستخدمون لضرب الثورات التي تقوم بها المعارضة بين حين وآخر عناصر يطلق عليها تسمية البخارية وان والي خراسان عبيدالله بن زياد اسر في احدى المعارك عدد كبير من أهل بخارى وجعل من البصرة مستقر لهم واجرى لهم من الأعطيات

⁽³⁴⁶⁾ خليفة، تاريخ، ص ٢١٨، (يسميه أبو المختار)؛ الطبري، تاريخ، ج ٥، ص ٣٣٠، (رجل من الموالي يسمى المختار)، النويري، نهاية الارب، ج ٢٠، ص ٣٧٦، (يسميه مالك ويكنى أبو المخارق)؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد يسميه (المختار)، ج ٥، ص ١٠٤.

⁽³⁴⁷⁾ البلاذري، انساب الاشراف، ج ١، ص ٢٠٥؛ النويري، الاخبار الطوال، ص ٢٢٦.

⁽³⁴⁸⁾ ابن خياط، تاريخ، ج ١، ص ٢٠٨؛ النويري، نهاية الارب، ج ٢، ص ٣١٥٢.

⁽³⁴⁹⁾ الاساورة: وهم اقوام من الفرس، أما السيابجة والزط فهم اقوام ينحدرون من الهند، الصلابي، عمر بن عبد العزيز معالم التجديد والاصلاح الراشدي على منهاج النبوة، ج ١، ص ٤٥٣.

ما كان يدفعه للقبائل العربية وذلك حين أصبح والي للعراق^(٣٥٠)، واستخدم عبدالله هذه القوة لمساندة الشرطة على ثورة الخوارج في العراق ويذكر ابن سعد أن البخارية قد استعملوا أول مرة كقوة أمنية على يد والد عبدالله حين كان واليا على العراق واضاف ابن سعد أن زيادا استخدم البخارية لمساعدة الشرطة في القبض على حجر بن عدي كان البخارية أصحاب مهارة في استخدام القوس وكان البخارية يقومون بخدمة الاشراف في البصرة استخدمهم ابناء عبدالله بن عامر والي العراق في السابق حرسا شخصيا لحمايتهم^(٣٥١).

هـ - العرفاء:

ونظرا لما يتمتع به العرفاء من مكانه لدى الولاة فان بعضهم يستطيع من الامور ما لا يقدر عليه غيره ونظرا لكون العريف مسؤولا عن مراقبة العمال وتبليغ السلطات عن الحركات المشبوهة أو عن الأفراد الذين يشك في ولائهم للسلطة ولذلك لم يكن لهذا المنصب شعبية الا أن ذلك لم يمنع كبار القوم من توليه^(٣٥٢).

و - صاحب الاستخراج أو العذاب:

وهي جهة خاصة مهمتها استخراج الأموال من الذين يختلسونها بحكم مناصبهم الرسمية واطلق على الشخص المكلف بتعذيب المختلسين (صاحب الاستخراج) وذكر ابن قتيبة هذه المهنة ظهرت عهد زياد بن ابية الذي كان دائم

⁽³⁵⁰⁾ ارسن موسى، الشرطة في العهد الأموي، ص ١٣٠.

⁽³⁵¹⁾ الطبقات الكبير، ج ٦، ص ٢١٩.

⁽³⁵²⁾ ارسن، الشرطة في العهد الأموي، ص ١٣٣-١٣١.

التحذير لمن يعينهم لمساعدته في الإدارة وكان لا يترد في اعفائهم من مناصبهم إذا ظهرت منهم خيانة ويكون عزل الخونة بعد أن يتم تنفيذ العقوبة بهم^(٣٥٣).

ز- جهاز الحسبة:

والمقصود بالحسبة بالمعنى الضيق، أي عملية الاشراف على تنظيم الاسواق والعمليات التجارية فيها وقد كان من مهام المحتسب في الدولة الأموية جباية ضرائب المبيعات التجارية وتحصيل اجرة الدكاكين التابعة للدولة^(٣٥٤)، إضافة إلى مسؤوليات السوق والتي منها (التأكد من دقة الاوزان والمكاييل - التفقد المفاجئ للمثاقيل وعياراتها لعدم الاخلال بها منع ارتفاع اسعار السلع الاساسية - منع حالت الاحتكار) وكان كل اقليم يباشر الحسبة بنفسه^(٣٥٥)، هذا لم يمنع من ظهور وظيفة العامل على السوق في مدينة البصرة في عهد ولاية زياد بن ابيه ويمكن القول أن نظام الحسبة كان موجودا منذ بداية العصر الأموي وقد نما وتطور بما يوافق تطور قطاع التجارة والاسواق ويلاحظ انه في بداية الأمر كان الوالي يتولى بنفسه أعمال الحسبة وتطور الأمر لان يكون هناك شخص معين للاشراف على السوق وتطور الأمر ليكون له اعوان في عمله^(٣٥٦).

ح - نظام المراقبة:

ظهر هذا النظام في دمشق في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان في عدة صور منها:-

⁽³⁵³⁾ عيون الاخبار، ج ١، ص ٥٥.

⁽³⁵⁴⁾ عصام عيروس، التطور الاقتصادي في العصر الأموي، ص ٢٢٣.

⁽³⁵⁵⁾ نجدة خماش، الادارة في العصر الأموي، ط ١، دار الفكر، (دمشق: ١٩٨٠)، ص ٢٢٣.

⁽³⁵⁶⁾ عصام عيروس، التطور الاقتصادي في العصر الأموي، ص ٢٢٤.

١. الزام بعض مناوئيه السياسيين باداء صلاة الجماعة في مساجد معينه
(٣٥٧).

٢. اسكان بعض مناوئيه في مساكن خاصة اعدھا لهم في دمشق وغيرها
لتسهل مراقبتهم.

٣. احكام المراقبة الشخصية على الاجانب الذين يدخلون دار الإسلام^(٣٥٨).

خ - مؤسسة الدرك :

وهي مؤسسة تضم قوى الدولة العاملة في سبيل الامن خارج حدود
المدن^(٣٥٩)، وكان زياد بن أبي سفيان يقول: لوضاع حبل بيني وبين خراسان
علمت من اخذه وهذا لا يكون الا إذا كانوا رجاله متمكنين من الطرق والسبل،
وطرح زياد نظرية امنية مفادھا التمكن أولا من داخل الامصار ثم التوسع لما
حولھا من طرق وسبل^(٣٦٠).

٣- ديوان البريد:

البريد كلمة فارسية اصلھا بريدھ (ذنب) أي محذوف الذنب وذلك أن يقال
البريد محذوفة الاذئاب فعربت الكلمة وخففت وسمي البغل بريدا أو الرسول
الذي يركبه بريدا والمسافة التي بعدها فرسخان بريدا وكان يرتب في كل سكة

⁽³⁵⁷⁾ نمر محمد الحميداني، ولاية الشرطة في الإسلام، ط٢، دار عالم الكتب، (الرياض:
١٩٩٤)، ص١٢٥.

⁽³⁵⁸⁾ ظافر القاسمي، نظام الحكم في الشريعة الإسلامية، ط١، دار النفائس، (بيروت:
١٩٨٧)، ص٦٤٣.

⁽³⁵⁹⁾ الطبري، تاريخ، ج٦، ص١٣٩.

⁽³⁶⁰⁾ القاسمي، نظام الحكم في الشريعة الإسلامية، ص٦٤٤.

بغال وبعد ما بين السكتين فرسخا بالتقريب^(٣٦١)، لقد عرف هذا الديوان في عهد الرسول محمد (ﷺ) حيث ورد عنه انه كتب لامراءه ((إذا ابردتكم الي بريدا فاجعلوه حسن الوجه حسن الاسم))^(٣٦٢)، وكان البريد يخص السلام كان الرسول (ﷺ) يرسل السلام في البريد لمن يسلم عليه^(٣٦٣)، واستخدم البريد في عهد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)^(٣٦٤)، أما وظيفة هذا الديوان فكانت هي نقل الاخبار والرسائل بين العاصمة والولايات أو بين الولايات نفسها للاخبار فيما يتعلق بالامور السياسية والاقتصادية^(٣٦٥)، وتشير اغلب الروايات على أن أول من وضع نظام البريد في الإسلام هو معاوية بن أبي سفيان^(٣٦٦)، واهتم معاوية بهذا الديوان وتنظيمه وتطويره حيث اصدر أوامره بوضع الخيول في عدة اماكن على حسب مسافات معينه تكون كمناطق استراحة للخيول واستبدالها وذلك لسعة الدولة واتساع رقعتها وحاجته إلى معرفه الاخبار ومستجدات الامور^(٣٦٧)، ويعد هذا الديوان من الترتيبات العسكرية^(٣٦٨)، ويتميز صاحب البريد بالامانة والنزاهة

⁽³⁶¹⁾ أبو عبد الله محمد بن احمد بن يوسف الخوارزمي، مفاتيح العلوم، دار الكتب العلمية، (بيروت: د.ت)، ج ١، ص ٤٢.

⁽³⁶²⁾ لأبي محمد عبدالله بن مسلم، عيون الاخبار، (مصر: ١٩٢٥)، ج ١، ص ١٤٨.

⁽³⁶³⁾ الطبري، تاريخ، ج ٣، ص ١٩٨.

⁽³⁶⁴⁾ محمد بن علوي، مفاهيم يجب ان تصحح، المكتبة العصرية، (بيروت: د.ت)، ص ١٤٥.

⁽³⁶⁵⁾ الدوري، النظم الإسلامية، ص ١٤٧.

⁽³⁶⁶⁾ ابن الطقطقي، الفخري في الاداب السلطانية، ص ٩٧؛ العسكري، الاوائل، ص ١٦٢؛ السيوطي، تاريخ، ص ٢٠٠.

⁽³⁶⁷⁾ عبدالملك بن حسين العصامي، سمط النجوم العوالي في معرفه الاوائل والتوالي، (مصر: د.ت)، ج ٢، ص ٣٤.

⁽³⁶⁸⁾ مجلة الجامعة الإسلامية، الرسائل الحربية، العدد ٥٥، ج ٢٥، ص ٤٦٤.

وله مكانه مرموقة واعوان منتشرون بالبلاد ليتعرفوا على الاحوال كحال العمال وعمل الخراج وتبليغها إلى الخليفة بكل صدق فهو محذور الجانب ويمثل اليوم وظيفة مدير الامن (٣٦٩).

لقد استخدم البريد في عهد معاوية بصورة عامة لنقل الاخبار واستخدم البريد كذلك لنقل الاشخاص وذلك للسرعة حيث نقل زياد بن أبي سفيان من البصرة إلى الكوفة بسبب قضية حجر بن عدي على خيول البريد (٣٧٠)، ويبدو لنا أن مسألة العطاء التي حدثت في المدينة من حيث أن العرفاء (٣٧١)، تلاعبوا بالعطاء هي من اختصاص صاحب البريد حيث اعلما للخليفة ونقل كذلك على البريد الشاعر يزيد بن مفرع (٣٧٢)، وفي الحقيقة لم تشر المصادر المتيسرة اسما لصاحب البريد خلال عهد معاوية وربما يعود ذلك لمجهوليه صاحب البريد حيث لا يعرفه الا القليل ولكن هناك اشارة إلى أن نصر بن ذبيان والكميت كانا على البريد في أيام معاوية (٣٧٣) ويحتاج صاحب البريد أن يكون هو المنفذ لكل شيء ويتولى من كتب أصحاب البريد في جميع النواحي ويحتاج صاحب هذا الديوان أن يكون ثقة عند الخليفة وان يكون متحفظ للثقة (٣٧٤)، كانت الدولة

(369) قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق: محمد حسين الزبيدي، (بغداد: ١٩١٨)، ص ٥٠.

(370) لأبي عبدالله المصعب بن عبدالله الزبيري، نسب قریش، تحقيق: ليفي برفنسال، ط ٢، (مصر: ١٩٧٩)، ص ١٥٤.

(371) العرفاء: جمعها عريف وهو القائم على أمور القبيلة او الجماعة من الناس يعرف امورهم ويتعرف الامير من خلاله على احوال الناس. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ٩، ص ٢٣٩.

(372) الاصفهاني، الاغانى، ج ١٦، ص ٣٥؛ ج ١٧، ص ٦٠.

(373) العصامي، سمط النجوم، ص ٣٤؛ العاني، إدارة بلاد الشام، ص ١٧٦.

(374) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ج ١، ص ١٥٧.

لاستغني عن البريد في حالات السلم والحرب وكان موظف البريد من أهم اعوان الخليفة، ونرى أن البريد يدخل ضمن النطاق العسكري لان علاقته بالادارة العسكرية كانت بمثابة عين الخليفة الناضرة واذنه السامعة ينقل الية إخبار عمالة وقادته وسائر رجال دولته^(٣٧٥) وكان له عيون يوافونه بكل جديد وكان البريد واسطة بين الولاة والخلفاء والقادة لنقل الاوامر العسكرية وكان أصحاب البريد رقباء ومفتشين من قبل الخليفة يرفعون التقارير في مختلف حالات القتال وفي كل الظروف والاوقات العصبية ويخبروه بحال المال والعطاء وكان من واجبات البريد مساعدة الإدارة العسكرية في التموين والاعداد وحفظ الطرق وصيانتها من الأعداء وانسلاخ الجواسيس في البر والبحر والية كانت ترد رسائل الثغور ويبردها على وجه السرعة من اختصار الطرق وكان يقال للبريد جناح المسلمين لما يطير به من الاخبار^(٣٧٦)، واستخدم الحمام في البريد وكان بمثابة بريد جوي للمسلمين^(٣٧٧).

٤. جهاز العيون والجواسيس الاستخبارات العسكرية:

أن العيون أو الجواسيس أو ما تسمى الاستخبارات العسكرية هي عبارة عن اجهزة واجبها جمع المعلومات عن العدو وتحليلها ومحاولة ابطال كل عمل يقوم به العدو وليست الاستخبارات وسيلة جديدة بل هي قديمة ولقد اتقن المسلمون في الفتوحات اساليب جمع المعلومات من العدو وكان للعرب عيوناً يرسلونها إلى الامصار للاختلاط مع أهل الامصار والاطلاع على احوالهم وذلك كان له صدى واسع في المساعدة على انجاح الفتوحات الإسلامية العربية مما

(375) الصلابي، الدولة الاموية، ص ٤٠٤.

(376) العاني، إدارة بلاد الشام، ص ١٧٦.

(377) من كتب المجلات، مجلة البيان، ج ١٦٧، ص ١٣٦.

يدل على أن نشاطهم كان منظماً على الرغم من صعوبة وسائل الاتصال في نقل المعلومات في حينها^(٣٧٨)، لقد كان اهتمام معاوية بأمر المخابرات (العيون) وجمع المعلومات من الأعداء قديماً ومنذ أن كان والياً على بلاد الشام وتطور هذا الجهاز لما تولى معاوية الخلافة وزاد اهتمامه به^(٣٧٩)، ففي عهده أسر رجل من المسلمين بالقسطنطينية واهين في بلاط الروم فاستغاثوا معاوية (لقد اغفلت أمورنا واضعنا) فوصل الخبر لمعاوية عن طريق جواسيسه بارض الروم فقام بفدائه وأسر من أهانة وجعل المسلم يقتص منه بمثل ما أهانة والا يزيد وهذا دليل على دقة النظام في إدارته^(٣٨٠).

٥- القضاء:

هو المجال الوحيد الذي يلجأ إليه أصحاب الحقوق لحماية حقوقهم وانفسهم من اعتداءات الغير ولتخليصهم من الفساد والظالمين كما يستجير بالقضاة الضعفاء لحماية انفسهم من عاديات السلطة الجائرة ورسالة القضاء هي اقامة العدل بين الناس واسترجاع حقوق الضعفاء من مغتصبيها الاقوياء وهذا سيدنا ابا بكر (رضي الله عنه) ((القوي فيكم ضعيف عندي حتى اخذ الحق منه)) وبالنظر

(378) علي بن أبي بكر الهروي، التذكرة الهرويه في الحيل العربية، تحقيق: مطيع المرابط، مطبعة وزارة الثقافة (دمشق: ١٩٢٧)، ص ٧٩؛ ينظر: مجموعة مؤلفين عسكريين، الموسوعة العسكرية، ج ١، ص ٦٢.

(379) عبد الجبار السامرائي، العرب وجمع المعلومات عن العدو، مجلة الهدد، العدد الثاني (بغداد: ١٩٨٣)؛ ص ٦٤-٦٨؛ كنعان خورشيد، الهجوم المباغت، ط ١، المطابع العسكرية، (بغداد: ١٩٨٥)، ص ١٠؛ البرت ميرغن، حرب المباغتة، ترجمة: بسام السيد، ط ١، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، (بيروت: ١٩٨٢)، ص ١١-١٢.

(380) النويري، نهاية الارب، ج ٦، ص ١٥٨-١٥٩.

لارتباط القضاء بالحكم ووحدة الأمة فقد اردنا أن نتطرق الية بشيء من التفصيل.

معنى القضاء لغويا: معنى القضاء لغويا الانقطاع نقول قضى فلان بمعنى حكم وفصل^(٣٨١)، وإذا قلنا قضينا عليه يعني اننا قطعنا حبل حياته وللعل قضى معاني عديدة^(٣٨٢)، قال تعالى ﴿وَإِذَا قَضَيْتُمْ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(١٧) بمعنى إذا أراد امر^(٣٨٣)، وقال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا﴾^(٣٨٤) بمعنى حدد موعد الوفاة، ويمكن ارجاع جميع هذه المعاني إلى معنى واحد وهو الانقطاع لان الحكم هو قطع النزاع والقتل قطع للحياة^(٣٨٥).

أما القضاء اصطلاحا: فهو قول ملزم عن ولاية عامة أو الاخبار عن حكم شرعي ويقال قضى القاضي أي: الزم الحق اهله والقضاء هو مظهر للامر الشرعي.

أما القضاء شرعا: هو فصل الخصومات وقطع المنازعات بين شخصين فاكثر وبحكم الله سبحانه وتعالى على أي حال فان القضاء قديم ولم يستغني عنه الانسان منذ زمن وجودة وكان كبار وعقلاء القبائل قبل الإسلام هم قضاتها هاشم بن عبد مناف كان قاضي قبيلة قريش وحاكمها ثم تولى القضاء بعده ابنه عبد المطلب بن هشام ثم ابنه أبو طالب ولكن الحقيقة التي نعرفها أن الذي تولى القضاء وبصورة انسانية غلبت عليها الرحمة وكان أول قاضي في

(381) محمد بن قاسم الانصاري أبو عبدالله صالح، شرح حدود ابن عرفة، مصر، (د ن: د ت)، ج ١، ص ٣٨١.

(382) خير الله طلفاح، القضاء عند العرب، مطبعة المعارف، (بغداد: ١٩٧٣)، ط ١، ص ٩.

(383) سورة البقرة: الآية ١١٧.

(384) سورة الانعام: الآية ٢.

(385) طلفاح، القضاء عند العرب، ص ١٠.

الإسلام هو سيد الخليفة محمد (ﷺ) بعد هجرته من المدينة وأما ما يخص القضايا التي كانت ترفع إليه في الخصومات قليلة فقد كان السائل يسأل عن الحكم فيجيبه الرسول محمد (ﷺ) وبعد وفاة الرسول محمد (ﷺ) وتولاها الخليفة أبو بكر (رضي الله عنه) بقي القضاء على حاله كما كان في زمن الرسالة ولما تولاها الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) اتسعت الامصار بسبب الفتوحات الإسلامية اضطر الخليفة إلى فصل القضاء عن الولاية وكان مرجع القضاء الأول القران الكريم والسنة والاجتهاد في بعض الأحكام وسار على هذا النهج الخلفاء من بعده لا يحرفون ولا يبدلون ويحكمون بالحق⁽³⁸⁶⁾، وسبب فصل القضاء والولاية بسبب المد الإسلامي الكبير بحيث أصبح من المتعذر على الخليفة أن يفصل في أمور المسلمين بسبب بعد المسافة⁽³⁸⁷⁾.

أما القضاء في عهد الدولة الأموية وتحديدا في زمن الخليفة معاوية بن أبي سفيان فقد اعتبر القضاء الأموي من الدرجة الثالثة بعد القضاء في عهد الرسول محمد (ﷺ) والخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم) لان العصر الأموي كان زاهيا وفيه كثير من اثار العهد الراشدي وكانت اغلب الأعمال هي امتداد للعهد الراشدي وخاصة في جانب الفتوحات الإسلامية وانتشار الدعوة في المشارق والمغرب ودخول الناس في دين الله افواجا وازدهار الحضارة الإسلامية علما أن كثير من الصحابة الذين كانوا يعيشون في العهد الراشدي وبقوا إلى العهد الأموي يمارسون القضاء حيث أصبح العهد الأموي مزدهرا بالتربية الدينية وسمو العقيدة الذي كان لها الاثر الاكبر على حسن سير القضاء

(386) أبو ابراهيم الذهبي وآخرون، باب في القضاء، ندوة القضاء الشرعي في العصر الحاضر، (د ن: د ت)، ج ٣٤، ص ٤.

(387) اسماعيل حقي فرج، القضاء في لاسلام، (د ن: د ت)، ص ٩-١٢.

والعدالة في العهد الأموي^(٣٨٨)، ونظرا لما تمتع به القضاء في العصر الأموي من الثقة والعدل والورع فقد اسندت لهم عدة أعمال منها

١- الشرطة: تولى القضاة رئاسة الشرطة إضافة إلى أعمالهم القضائية فجمعوا بين ولاية القضاء وولاية الشرطة في عدد من المدن الإسلامية^(٣٨٩).

٢- الامارة : استعمل بعض القضاة ولاية في بعض الأحيان كما كان الخليفة ينيب عن القاضي وكان الكثير من الولاة يستخلفون القاضي على إدارة الأمور وتصريف شؤون المصر اثناء غيابهم أو خروجهم لمهمة^(٣٩٠).

كان القاضي له يوم معروف يخصصه للنظر في المظالم وكان يقصده المنظلمون ويراجعه المتنازعون^(٣٩١)، وكان القاضي على صلة بالجهاز العسكري للدولة فقد كان ينظر في أمور الجيش فيما يخص الاثبات والعطاء وكان القاضي ينظر في الأعمال من رسوم وحقوق وما يختص بالعمال من تقليد وعزل وما يخص بيت المال من دخل وخراج وكان نظام الحسبة موافق لنظام القضاء^(٣٩٢)، إذا كان القضاء متداخلا مع الجيش بحسب ما تقتضيه الموازين الإسلامية وبذلك يقوى استقلال السلطة القضائية^(٣٩٣)، ويجب على القاضي مراعاة الناس والفصل بالحق وان لا تلومه في الله لومة لائم وان لا يحكم على

(388) محمد الزحيلي، تاريخ القضاء في الإسلام، ط ١، دار الفكر، (دمشق: ١٩٩٥)، ص ١٦٥.

(389) محمد بن خلف بن حيان، اخبار القضاة، عالم الكتب، (بيروت: د ت)، ج ١، ص ١١٨.

(390) محمد بن علي بن احمد بن خماروية، الصالحي الحنفي، قضاة دمشق، (د ن: د ت)، ص ٤٣١.

(391) الماوردي، الاحكام السلطانية، ص ١٣٨.

(392) المصدر نفسه، ص ٤٠٢-٤٨٩.

(393) عبدالله محمد الغريب، احوال أهل السنة، (د ن: د ت)، ج ١، ص ٦٥.

المصلحة الشخصية قال تعالى ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ
وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ﴾^(٣٩٤)، وقال الرسول محمد (ﷺ) ((أن اغلله مع القاضي
ما لم يجرّ فإذا جار تبرأ الله منه والزمه الشيطان))^(٣٩٥).

وهناك ملاحظة لابد من ذكرها وهي أن الخليفة معاوية بن أبي سفيان
تولى منصب القضاء في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) اوصاه الخليفة
عمر (رضي الله عنه) بعدة أمور منها.

١- الزم خمس خصال يسلم دينك وإذا تقدم الخصمان فعليك بالبيّنة العادلة
واليمين القاطعة فهو الطريق للقاضي الذي لا يعلم الغيب^(٣٩٦).

٢- وادّن الضعيف حتى يشتد قلبه وينبسط لسانه^(٣٩٧)، ولم يرد الخليفة عمر
(رضي الله عنه) بهذا تقديم الضعيف على القوي وإنما أراد بالامر المساواة لان القوي
يدنو بنفسه والضعيف لا يتجاسر على ذلك فعلى القاضي أن يدني الضعيف
ليساويه بخصمه حتى يقوى قلبه وينبسط لسانه فيتكلم بحجته^(٣٩٨).

٣ - وتعاهد الغريب فانك أن لم تعاهده ترك حقه ورجع إلى اهله فربما يضيع
حقه من لم يرفع به راسه وذلك لان الغريب يكون مكسور القلب وقلبه مع
اهله ليرجع لهم.

⁽³⁹⁴⁾ سورة المائدة: الآية ٤٩.

⁽³⁹⁵⁾ سنن ابن ماجه، رقم الحديث ٢٣١٢، ج ٢، ص ٧٧٥.

⁽³⁹⁶⁾ محمد بن خلف بن حيان ، اخبار القضاة، ص ١١٦-١١٨.

⁽³⁹⁷⁾ ابن عساكر ، تهذيب ابن عساكر، ج ٦، ص ٣٠٦.

⁽³⁹⁸⁾ شمس الدين محمد بن لأبي سهل السرخسي، دار المعرفة (بيروت: ١٩٨٩)، ج ١٦،

ص ٦٦.

٤- وعليك بالصلح بين الناس فإذا اشتبه القاضي في أمر فعله بالصلح^(٣٩٩).
من مميزات القضاء في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان:

١- لقد بقي القضاء في العهد الأموي كما كان في العهد النبوي والعهد الراشدي في معالمه الأساسية وتنظيمه الجوهري ووسائله وأهدافه وكان استمرار لما سبقه من العهود في إقامة الحق والعدل والنزاهة مع مراعاة التطور والتوسع الحاصل في الخلافة الأموية .

٢- استعمل القضاء في العهد الأموي وسائل الإثبات الشرعية نفسها والمعمول بها في العهد الراشدي مع التوسع في الفراسة واستعمال الحيل على المتهم في كشف الحق والوصول إلى الصواب والعدل.

٣- ظهرت في العهد الأموي مصادر جديدة للأحكام القضائية منها العرف وقول الصحابي واجماع أهل المدينة.

٤- حرص الخلفاء على اختيار احسن الناس لولاية القضاء من علماء وفقهاء وشرفاء وخيرة القوم من الذين تتوفر فيهم صفات القاضي الشرعية ويخشون الله تعالى ويقيمون العدل بين الناس^(٤٠٠).

٥- كان القاضي في العهد الأموي ينظر في أمور المجار عليهم من مجانيين ويتامى وكانوا ينظرون في مصالح الطرقات ويتفقدوها من ناحية صلاحها ومن ناحية ومنها اثناء مرور القوافل^(٤٠١).

٦- قاموا بتسجيل الأحكام خوفا من النسيان ومنعا من التجاحد ووضعها في سجل خاص (ديوان).

⁽³⁹⁹⁾ ظافر القاسمي، نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي، دار النفائس، (بيروت: ١٩٨٧)، ط ٣، ص ٤٥٦.

⁽⁴⁰⁰⁾ محمد الزحيلي، تاريخ القضاء في الإسلام، ص ٢١٣.

⁽⁴⁰¹⁾ اسماعيل حقي فرج، القضاء الإسلامي وتاريخه، دار الفكر (بيروت: د ت)، ص ٢٨.

٧- ضرورة وجود المساعدين للقضاة وهم الاعوان والحاجب والشرطي في مجلس القضاء.

٨- الاستعانة بالشرطة لتنفيذ الأحكام القضائية والقاء القبض على الجاني.

٩- لم يتأثر القضاء بسياسة الحكام والخلفاء وكان القضاة مستقلين في عملهم ولم تؤثر عليهم الميول السياسية أو الشخصية والحركات الثورية والخلافات الفكرية والفتن الداخلية^(٤٠٢).

لقد كان للقضاء عادة عدد من الأشخاص يسمونهم اعوان وكان هؤلاء الاعوان يساعدون القضاة فيما يخص حسن التقاضي وسير القضاء ومن هؤلاء الاعوان كاتب القاضي أو كاتب المحكمة أو كاتب الضبط لقد كان أول ظهور لهؤلاء كان في زمن الخلفاء الراشدين (رضي الله عنه)^(٤٠٣)، ثم شاع استعماله فيما بعد وظهر اعوان جدد خلال فترة العهد الأموي ووفق ما تطلبته الحاجة وحياة المجتمع الإسلامي واتساع أعمال القاضي وكثرة الدعاوي ومن هؤلاء الاعوان الذين كان يعتمد عليهم القاضي اعتمادا كبيرا وكانوا بمثابة يد العون للقاضي وهم:

أ- المنادي: وهو الذي يجلس عند القاضي لبيان مكانة القاضي ومعرفته والمناداة على الخصوم وكان يطلق عليه (الذي على راس القاضي) أو (صاحب المجلس).

ب- الحاجب: وهو الشخص الذي يقف على باب القاضي ليحجب الناس عنه اثناء النظر في الدعاوي ويرتب دخول المتداعيين عليه عند تراحمهم وتعدددهم وقد يكون الحاجب هو المنادي وقد يكون هو نفسه احد أفراد الشرطة القضائية

(٤٠٢) محمد الزحيلي ، تاريخ القضاء، ص ٢١٤.

(٤٠٣) ظافر القاسمي، نظام الحكم في الشريعة، ص ٢٥٩.

وقد كان هذا الحاجب يكلف من قبل القاضي للقيام ببعض الأعمال في داخل المحكمة أو اداء بعض المهمات خارجها^(٤٠٤).

ج - الترجمان أو المترجم: اتخذ القضاة الترجمان لكثرة الشعوب غير العربية التي دخلت في دين الإسلام وتعارفت هذه الشعوب فيما بينها وتخالطت مع بعضها البعض فإذا حصل نزاع أو خلاف أو دعوى بينهم أو مع عربي وغير عربي يقوم القاضي بالاستعانة بالترجمان (المترجم) على شرط أن يكون هذا الترجمان محل ثقة وصادق ومعروف ويعمل بحدود الدين ليقوم بدورة بنقل كلام الخصوم له^(٤٠٥). لقد كان المترجم يحلف لأداء الصدق والامانة.

أما فيما يخص أرزاق القضاة ومقدار ما كانوا يأخذوه من اجور أو رواتب شهرية فاننا نعلم أن الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) هو الذي فصل القضاة عن الولاية وعمر بن الخطاب (رضي الله عنه) هو أول من رتب أرزاق القضاة واما الخليفة علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) فقد كان هذا الخليفة معروف بالزهد والقناعة فقد قال لعامة على مصر في شأن أرزاق القضاة ((وافسح له في البذل ما يزيل حاجته وتقل حاجته للناس^(٤٠٦)، لقد استمر الحال على ذلك خلال فترة العهد الأموي فقد كانت تجري على القضاة أرزاقهم من بيت المال مع التوسع عليهم واختلاف المقدار بحسب اختلاف البلدان وبحسب الظروف التي كانت تعيشها تلك البلدان وكان القاضي في عهد بني أمية يأخذ اجرا بمقدار خمسمائة درهم

⁽⁴⁰⁴⁾ الزحيلي، تاريخ القضاء، ص ١٨١.

⁽⁴⁰⁵⁾ الزحيلي، تاريخ القضاء، ص ٤٢٣.

⁽⁴⁰⁶⁾ عبد الرحمن الحميضي، القضاء ونظامه في الكتاب والسنة، مكتبة التوبة (الرياض:

١٩٨٦)، ط ١، ص ٢٦٧.

في كل شهر^(٤٠٧)، ولا بد من ذكر أن بعض القضاة كانوا لا يأخذون على القضاء اجرا ويحتسبون اجرهم عند الله تعالى في اقامة شرعه ودينه^(٤٠٨).

إضافة لذلك لا بد لنا من الإشارة إلى أن تخلي الخلفاء والولاة عن ممارسة سلطة القضاء والاقتصار فقط على التعيين والعزل لم يمنع الخلفاء من الاطلاع ومراقبة أعمال كافة القضاة ومراجعة احكامهم الشرعية التي يصدرونها ومتابعة الدعاوى والاقضية التي تصدر عنهم. وذلك لان الخليفة يتحمل جزء من قراراتهم وهو المسؤول عن القضاء وجميع ما يخص الأمة والافراد في سياسة الدين والدنيا وتفويض القضاء للقضاة ويتابعون ما يصدر عنهم فان وجدوا فية أي خلا أو انحرافا أو تقصيرا بدءوا بالتقويم الصحيح لكي يضمن صاحب الحق حقه ويتم استرداد جميع حقوقه وحسب أصول الدين ومقتضيات الشريعة الإسلامية^(٤٠٩).

(407) الزحيلي، تاريخ القضاء، ص ١٦٧

(408) ابن سعد، الطبقات، ج ٦، ص ٨٢

(409) الزحيلي، تاريخ القضاء، ص ١٨٦

الفصل الثالث

الدواوين المالية والإدارية على
عهد الخليفة معاوية بن أبي
سفيان (رضي الله عنه)

المبحث الأول

ديوان الخراج

الخراج هو ما وضع على رقاب الأرض من حقوق تؤدى عنها^(٤١٠)، وقد ورد تعبيره في القرآن الكريم بأسماء منها الطسق^(٤١١)، والجزية قال تعالى ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَقَرْجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ﴾^(٧٢)^(٤١٢)، ولفظه الخراج هي الأكثر شيوعا^(٤١٣)، ويعد ديوان الخراج من الدواوين المهمة حيث يتولى إدارة أمور الخراج والنظر في مشكلاتها وكذلك يتولى مهمة الانفاق من موارده على كافة شؤون الدولة لان الخراج يعتبر عماد مالية الدولة^(٤١٤)، ويعد ديوان الخراج من الدواوين المحلية التي كانت موجودة في العراق والشام ومصر وكانت بلغات غير عربية^(٤١٥)، وهو كبقية مصادر الدولة التي كان لعمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الريادة في تنظيمها ولقد استفادت الدولة العربية الإسلامية عموما والدولة الأموية خصوصا من تنظيم عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) له اذ سارت في اغلب أقاليمها عليه^(٤١٦)، وكذلك للخراج معنى خاص وهو إيراد الأراضي التي افتتحها

⁽⁴¹⁰⁾ الماوردي، الاحكام السلطانية، ص ٢٣١، ص ٣١٦-٣١٧ .

الطسق: هو المكيال يوضع على الجربان من الخراج. ينظر: أبو منصور محمد الازهري،

تهذيب اللغة ، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط ١، (بيروت: ٢٠٠١) ، ج ٨، ص ٣٠٨.

⁽⁴¹¹⁾ سورة الكهف، الآية: ٩٤

⁽⁴¹²⁾ صالح احمد العلي، الخراج في العراق، (بغداد: ١٩٩٠) ، ص ٩-١٤ .

⁽⁴¹³⁾ الماوردي، الاحكام السلطانية، ص ١٣٤.

⁽⁴¹⁴⁾ الدوري، النظم، ص ١٤٦.

⁽⁴¹⁵⁾ الصلابي، الدولة الاموية، ص ٢٥٨.

⁽⁴¹⁶⁾ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ٤٣.

المسلمون عنوة أو أوقفها الإمام لصالح المسلمين، كما فعل عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) حيث أوقف أرض السواد في العراق والشام لصالح المسلمين^(٤١٧).

والخراج لا يقاس بإجارة ولا بثمن بل هو أصل ثابت بنفسه لا يقاس بغيره ولقد كان للخراج أهمية كبرى في الدولة الأموية^(٤١٨)، فقد كانت غلة الخراج في منطقة السواد ناخذها على سبيل المثال في عهد عبيد الله سنة ٤٥هـ — بلغ ١٣٥ مليون درهما^(٤١٩)، أما الخراج في منطقة الجزيرة والشام فقد استمر الخراج في هذه المناطق وفقا لما وضعه معاوية بن أبي سفيان الذي فرض ضرائب على أهل المدن ذات وجهين أحدهما جزية والآخر خراج وهو كما يلي ١- إلى أهل قنسرين حوالي مليون وخمسمائة ألف درهم ٢- على أهل فلسطين حوالي ٦٠٠ ألف درهم^(٤٢٠)، ويذكر بأنه استخدم العنف في تحصيل الخراج في بعض الأقاليم باستثناء عهد عمر بن عبد العزيز حيث استخدمت الشدة في تحصيل كافة الإيرادات وبأنواعها^(٤٢١)، ووظيفة ديوان الخراج هي وظيفة منتقلة عن الوالي منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)^(٤٢٢)، ولقد استمرت إدارة الخراج على منحى وشكل واحد ولم تتغير طيلة فترة العهد الراشدي وكذلك استمر الحال في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان وكان معاوية هو الذي يقوم بتعيين مسؤول الخراج وإن شاء عزلة عزلة^(٤٢٣)، وكان المسؤول عن الخراج مستقلا بوظيفته

(٤١٧) أبو يوسف، الخراج، ص ٢٤-٢٥.

(٤١٨) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج ٢، ص ٥٢٧؛ الصلابي، الدولة الأموية، ص ٢٥٨.

(٤١٩) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ٢٧٥.

(٤٢٠) عصام عيروس، التطور الاقتصادي في العصر الأموي، ص ٧٦.

(٤٢١) أبو يوسف، الخراج، ص ٢٦٩-٢٧٠.

(٤٢٢) الطبري، تاريخ، ص ١٤٤.

(٤٢٣) عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، (ليدن: ١٩٢٠)،

اتم الاستقلال عن الوالي ولكن كان اتصال مسؤول الخراج مباشراً بالخليفة لايحتاج لوساطة الوالي^(٤٢٤)، لقد أعطى الخليفة معاوية بن أبي سفيان صلاحيات واسعة لامرائه لتعينهم مسؤول الخراج^(٤٢٥)، ولقد كانت هناك ظروفًا تحتم على الخليفة أن يجعل أمير المصّر هو المسؤول عن الإدارة والخراج في الوقت نفسه^(٤٢٦)، وكان مسؤول الخراج يوقع أي أمر أو أي مشكلة تتعلق بالإدارة المالية دون الرجوع إلى الأمير^(٤٢٧)

قال البلاذري أن قدرهم بالبصرة كان عظيماً وكان مسئول الخراج موظفاً ذا مكانة عالية ورفيعة وهو بنفس الوقت كان يرأس العديد من الموظفين^(٤٢٨)، لقد أولى معاوية بن أبي سفيان ولاته في الأقاليم ومن عليها ولاية فائقة فاستصلح (البطائح) وهي أرض واسعة مغمورة بالمياه مما أدى إلى عمارة البلاد وزيادة الوارد العام بمقدار خمسة آلاف وألف ألف درهم وأولى معاوية عنايته بحالة السكان وراعاها وسعى إلى تطمينهم والتخفيف عن كاهلهم وقام معاوية باتخاذ مجموعة من الإجراءات يتعلق بعضها بالضريبة والآخر يتعلق بالقائمين على الضريبة وعمل معاوية على انصاف دافعي الضريبة باختيار عماله ومتابعته لهم وفي عهد الدولة الأموية نرى إلى استعمال الأعاجم

(424) البلاذري، انساب الأشراف، ص ٣٣٠.

(425) أبو جعفر محمد بن حبيب، اسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام واسماء من قتل من الشعراء، تحقيق: عبدالسلام هارون، ط ١، نشر ضمن كتاب نواذر المخطوطات المجموعة السادسة، (مصر: ١٩٥٤)، ص ١٦٦.

(426) مولوي حسيني، الإدارة العربية، تحقيق: إبراهيم أحمد العدوي، (مصر: د.ت.)، ص ١٨٩.

(427) ابن عبد الحميد، فتوح مصر، ص ٨٩؛ البلاذري، انساب الأشراف، ج ٤، ص ١٠٩.

(428) غيداء خزنة كاتب، الخراج منذ الفتح الإسلامي حتى أواسط القرن الثالث الهجري، مركز دراسات الوحدة العربية (د.ن: ١٩٩٧)، ط ١، ص ٢٣٩، ٢٦٢.

بأمور الخراج ودورهم في اعمار الارض وذكر زياد بن ابية سبب استعمال الأعاجم على أمور الخراج ورأيناه بوضوح حيث قال: "وينبغي أن يكون كتاب الخراج من رؤساء الأعاجم العالمين بأمور الخراج ودعا زياد إلى مراعاة الدهاقين (الدهقان) شيخ القرية العالم بالزراعة وما يصلح للارض من شجر والاحسان اليهم قال: "احسنوا إلى الدهاقين فإنكم لن تزالوا سمانا ماسمنوا^(٤٢٩)، لقد كان الخليفة معاوية محققا وموفقا لاختياره لعمالة من مسؤولي الخراج فيروي عبدالله بن دراج انه استخرج لمعاوية من الارضيين والبطائح في العراق ما بلغت قيمته خمسة ملايين درهم^(٤٣٠)، لقد راعى الخليفة معاوية حالة السكان وسعى لتطمينهم على الضريبة فقد عمل معاوية على انصاف دافعي الضريبة باختيار عماله ومتابعته لهم وان كانوا من المقربين فقد عزل ابن ام الحكم وهو عبدالله الثقفي وهو ابن اخته لأنه اشتد في أمر الخراج واستعمل معاوية الأعاجم في الخراج لمعرفةهم في أمور الخراج ودورهم في اعمار الارض^(٤٣١)، وضرب معاوية بن أبي سفيان ضرائب على أهل المدن^(٤٣٢)، لقد تولى الكثير من الرجال رئاسة ديوان الخراج بالعراق والشام أو مصر ففي الشام كتب له سرجون بن منصور الرومي، وكان ابن اثال على ديوان حمص^(٤٣٣).

(429) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٨٧؛ ابن قدامة، في الخراج، ص ١٦٩.

(430) أبي يوسف، الخراج، ص ٢١٧؛ الصلابي، معاوية بن أبي سفيان، ص ٢٥٣.

(431) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٦٢-١٦٣.

(432) سرجون بن منصور الرومي: كان روميا نصرانيا كتب لمعاوية ولمن بعده الى ايام عبد الملك بن مروان. ينظر: أبو بكر محمد بن يحيى بن عبدالله الهولي، اداب الكتاب،

تحقيق: احمد حسن بسج، ط ١، (بيروت: ١٩٩٤)، ج ٢، ص ٢٠٠.

(433) ابن اثال: كان هذا الرجل يتراس الذمة بارض حمص وكان من عظماء الروم مات

مسموما. ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ٣١.

أما سرجون بن منصور الرومي فكان بمثابة مستشار للخليفة معاوية^(٤٣٤)، وليزيد بن معاوية^(٤٣٥)، وقد ذكر ابن خلدون أن ديوان العراق كان باللغة الفارسية وديوان الشام باللغة الرومية وكتاب الدواوين من أهل العهد من الفريقيين^(٤٣٦)، ولم يذكر أحد من الخلفاء أنه استعمل النصارى قبل معاوية فعندما استعمل معاوية ابن اثال على خراج حمص اعترضه خالد بن عبد الرحمن بالسيف فحبسه معاوية أياما^(٤٣٧)، وكان سعيد بن عثمان على إدارة خراسان وخراجها ولم تذكر المصادر المتيسرة شيئا عنه^(٤٣٨)، وتولى زاذان فروخ^(٤٣٩)، الديوان لزياد بن أبي سفيان^(٤٤٠)، أما في العراق فقد تولى ديوان الخراج عبدالله بن دراج وكان مولى معاوية بن أبي سفيان ولاية على خراج الكوفة مع زاذان فروخ وغيرهم^(٤٤١)، إضافة لذلك فقد تولى ديوان الخراج في مصر على عهد الخليفة معاوية كلا من وردان وعتبة بن أبي سفيان بن مخلد^(٤٤٢)، وكان اسلم بن زرعه على خراج خراسان كما كان عبادة بن حمل بن عوف على خراج مصر^(٤٤٣)، وتولى كذلك عمرو بن العاص إدارة مصر وخراجها، ويذكر عندما

⁽⁴³⁴⁾ الطبري، تاريخ، ص ١٨٠؛ المسعودي، التنبيه والاشراف، ص ٢٧٧.

⁽⁴³⁵⁾ البلاذري، انساب الاشراف، ص ٣٨١؛ الجهشيارى، الوزراء والكتاب، ص ٣١.

⁽⁴³⁶⁾ المقدمة، ص ٢٤٣.

⁽⁴³⁷⁾ اليعقوبي، تاريخ، ص ٢١١.

⁽⁴³⁸⁾ الطبري، تاريخ، ج ٥، ص ٣٥.

⁽⁴³⁹⁾ زاذان فروخ: هو زاذان بن فروخ الاعور تولى ديوان الخراج خلال عهد زياد بن أبي

سفيان. الهولي، ادب الكتاب، ج ٢، ص ٢٠٠.

⁽⁴⁴⁰⁾ الجهشيارى، الوزراء والكتاب، ص ٢٦.

⁽⁴⁴¹⁾ الطبري، تاريخ، ج ٦، ص ١٨٠؛ ابن خياط، تاريخ، ص ١٩٧.

⁽⁴⁴²⁾ ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص ٨٦؛ الكندي، الولاة واخبار القضاة، ص ٣٨.

⁽⁴⁴³⁾ ابن عبد البر، الاستيعاب، ص ٤٠٠.

طلب معاوية أن تسترجع له هدايا النيروز والمهرجان^(٤٤٤)، فقام على الفور عامل الخراج بتلبية أمر الخليفة معاوية ودرت هذه الضريبة اموالا كثيرة^(٤٤٥).

⁽⁴⁴⁴⁾ النيروز والمهرجان: ان اول من ابد النيروز كيا بن خسروان والنيروز ملك الدنيا والنيروز اول ما جمعه في ملكة وهي عبارة عن اموال وهدايا قيمة والنيروز اقدم من المهرجان بالفى سنة وخمسين. ينظر: الجاحظ أبو عثمان بن عمرو بن بحر، المحاسن والاضداد، ط٢، مكتبة الخانجي، (القاهرة: ١٩٩٤)، ج١، ص٢٣٣-٢٣٤.

⁽⁴⁴⁵⁾ الجاحظ، المحاسن والاضداد، ج١، ص٢١١.

المبحث الثاني

ديوان الخاتم

وهو بمثابة سجل لحفظ اوراق الخليفة واوامره بعد أن تحزم بخيط وتختم بالشمع أو الطين الاحمر وتختم بختم صاحب الديوان^(٤٤٦)، ويعود انشاء هذا الديوان إلى الخليفة معاوية بن أبي سفيان وذلك على اثر تزوير حصل على بعض كتب الخليفة معاوية لزياد بن أبي سفيان حيث كتب معاوية لزياد أن يعطي لعروة بن الزبير مئة ألف درهم فجعلها عروة بن الزبير ٢٠٠ ألف درهم فلما رفع الحساب لمعاوية بن أبي سفيان كشف التزوير^(٤٤٧)، فتحاشيا لمثل هذا التزوير ومنع حدوث أي تلاعب في الكتب الصادرة عن الخليفة وهذا الديوان انشاء معاوية^(٤٤٨)، إذا مهمته لتحقيق السرية والامان لمراسلات الدولة فلا تطلع عليها عين جاسوس ولا تصل اليها يد خائن^(٤٤٩)، لقد كان من اغراض هذا الديوان تحاشي التزوير ومنع حدوث التلاعب في الكتب التي يصدرها الخليفة ثم اصبح هذا الديوان بمثابة سجل للكتب الصادرة وصارت الدولة تعتمد عليه في تدقيق الاوامر والمراسلات التي تتعلق بالصرف والحسابات بين قصر الخلافة

(⁴⁴⁶) ابن الطقطقي، الفخري في الاداب السلطانية، ص ١٠٦.

(⁴⁴⁷) الطبري، تاريخ، ج ٥، ص ٣٣٠؛ اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٢١٩؛ الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص ٢٤-٢٥؛ الاصفهاني، الاغانى، ج ١٨، ص ١٦٢؛ العسكري، الاوائل، ص ٦٩-٧٠؛ ابن الطقطقي، الفخري في الاداب السلطانية، ص ١٠٦؛ ابن خلدون، المقدمة، ص ١٧٢؛ الصالح، النظم الإسلامية، ص ٣١٥؛ اليوزبكي، دراسات، ص ١١٤.

(⁴⁴⁸) أبو عبدالله محمد الأزرق الأندلسي، بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق: محمد عبدالكريم، (ليبيا: ١٩٧٦)، ج ٢، ص ٧٩٢.

(⁴⁴⁹) ابن خياط، تاريخ خليفة، ص ٢١٨.

وباقى الأقاليم الإسلامية الأخرى^(٤٥٠)، كما انه يقوم بالاشراف على تدقيق الدواوين الأخرى وبيان الاخطاء التي تقع فيها^(٤٥١)، ومن الجدير بالذكر انه كان لهذا الديوان فروعاً أخرى في الامصار والاقاليم حيث اتبع الولاة الطريقة نفسها وخاصة في العراق^(٤٥٢).

لقد صارت الدولة تعتمد على هذا الديوان اعتماداً كبيراً وكان هذا الديوان يقوم بمهمة الفحص والتدقيق في الكتب الصادرة والواردة ويشبه ما يسمى بالارشيف^(٤٥٣)، وذكرنا بان أول من اتخذ معاوية وولاة لعبيد الله بن اوس الغساني وسلم إليه الخاتم وعلى فسه (لكل عمل ثواب)^(٤٥٤)، استخدم الخاتم منذ عهد الرسول محمد (ﷺ) وكان نقش النبي محمد (ﷺ) (محمد رسول الله) وكان أبو بكر (رضي الله عنه) وعمر وعثمان يختمون به وسقط من يد عثمان (رضي الله عنه) في بئر فاتخذ خاتماً ونقش عليه (محمد رسول الله)^(٤٥٥)، حدثنا يحيى بن بكير الليث حدثنا يونس عن شهاب قال حدثني انس بن مالك انه رأى الرسول محمد (ﷺ) وفي يديه خاتم من ورق يوما واحداً^(٤٥٦)، ثم اصطنعوا الناس خواتيمهم من ورق

-
- (450) حمدي شاهين، الدولة الاموية المفترى عليها، ط ١، (القاهرة: ٢٠٠١)، ص ٤٣٣.
- (451) نجدة خماش، الإدارة في العصر الاموي، ص ٢٨٧؛ خالد بن محمد العيسى، مرويّات خلافة معاوية، ط ١، (دار الأندلس الخضراء: ٢٠٠٠)، ص ٧٥.
- (452) عبداللطيف العاني، ادارة بلاد الشام في العهدين الراشدي والاموي، ص ١٧٠.
- (453) صبحي الصالح، النظم الإسلامية، ص ٣١٥.
- (454) أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن فهران العسكري، الاوائل للعسكري، (د.ن: د.ت)، ج ١، ص ٢٤.
- (455) ابن جعفر (قدامه)، الخراج، ج ١، ص ٥٦.
- (456) احمد بن الحسن بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني البيهقي، الجامع في الخاتم، (د.ن: د.ت)، ص ٦.

ولبسوها فطرح رسول الله (ﷺ) خاتمة فطرح الناس خواتيمهم^(٤٥٧)، أشار البلاذري إلى أن سرجون بن منصور الرومي اقترح على يزيد تعيين عبدالله بن زياد على الكوفة فرفض يزيد عندئذ عرض عليه سرجون بن منصور الرومي عهدا بختم معاوية يشير بتولية عبدالله على الكوفة وهذا يدل على ثقة معاوية بن أبي سفيان بسرجون فضلا عن أن معاوية يعلم بقدرات عبدالله فاوصى بتعيينه على الكوفة^(٤٥٨)، لقد تقلد هذا الديوان خلال عهد الخليفة معاوية رجل من حمير وإن اختلفت المصادر في ذكر اسم والده أو أن هناك اثنان توليا هذا المنصب وكلاهما من حمير^(٤٥٩)، وقد أشار السيوطي انه بعض من تقلد الدواوين تقلد ديواني الرسائل والخاتم^(٤٦٠).

وثمة ملاحظة لابد منه وهي أن ديوان الخاتم يختلف عن ختم اليد كالذي كان يحمله رسول الله (ﷺ) والخلفاء الراشدون من بعده إذ أن الخاتم هو ليس ختم آخر الرسالة (التوقيع) عندما كانت ترسل^(٤٦١)، وختم الرسول (ﷺ) والخلفاء الراشدون (رضي الله عنهم) كان يعني التوقيع والختم بينما نراه في عهد الخليفة

(457) رواه البخاري، في المسند رقم الحديث ١٣٨٠، ج ٣، ص ١١٣١.

(458) انساب الاشراف، ص ٨٢.

(459) ابن خياط، تاريخ، ص ٢١٨ فهو عند خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، ج ١، ص ٢١٨ (عبدالله بن عمرو) وذكره الطبري في تاريخ الامم، ج ٥، ص ٣٣٠، (عبدالله بن محسن الحميري) وذكره الجهشيارى في كتابة الوزراء والكتاب، ص ٢٥ (عبدالله بن محمد) وذكره النويرى في نهاية الارب، ج ٢، ص ٣٧٥ (عبدالله بن محسن) وذكره ان خلدون في كتابه العبر، ج ٣، ص ١٩ (عبدالله بن محسن الحميري) وصالح العلي جعلهم اثنان (عبدالله بن عمرو، وعبدالله بن محسن) في كتابة دراسات الإدارة، ص ٢٥٨، والعاني جعله في كتابه ادارة بلاد الشام (عبد الله بن محسن الحميري) ، ص ١٧٠.

(460) تاريخ الخلفاء، ص ٢٠٠.

(461) العلي، النظم الإسلامية، ص ١٢٥-١٣٥.

معاوية كان بمثابة جهاز للفحص والتدقيق في الأعمال الصادرة والواردة عن الدواوين الأخرى^(٤٦٢)، ومادما نتكلم عن خاتم اليد لابد من الإشارة إلى أن خاتم الخلافة الذي كان يلبسه معاوية بن أبي سفيان ويستعمله وإن اختلفت المصادر في ذكر نقشه^(٤٦٣)، إلا أنه كان يلبس منذ زمن الرسول (ﷺ) باليد اليمنى حتى نقله معاوية إلى اليد اليسرى خلال عهد خلافته^(٤٦٤)، ونحن لا نعلم سبب نقل معاوية الخاتم إلى يده اليسرى إلا إذا كان معاوية أيسرا لقد استخدم معاوية بن أبي سفيان هذا الخاتم عند توقيعه لبعض الرسائل السرية^(٤٦٥)، ونعرف سبب ذلك لاضافة نوع من السرية إلى تلك الرسائل وإلى التأكيد بأنها رسائل الخليفة تحاشيا للتزوير الذي قد يحصل.

لقد كان عند صدور أي توقيع من الخليفة بأمر من الأمور احضر التوقيع إلى ذلك الديوان واثبت نسخته فيه وحزم بخيط وختم بشمع صاحب ذلك الديوان^(٤٦٦)، وكان يعرض على الخليفة بعد الانتهاء منه ويقابل فيه ما موجود بالتذكرة ويختتم بحضرة الخليفة أو بحضرة اوثق الناس عنده^(٤٦٧)، وأراد به معاوية وابتغى منه تحقيق السرية والامان لمراسلات الدولة الداخلية والخارجية

(462) خالد محمد، مرويّات خلافة معاوية، ص ٧٦؛

(463) قيل كان نقشه (لكل عمل ثواب أو لاحول ولا قوة الا بالله) ينظر: المسعودي، التنبيه

والاشراف، ص ٢٧٨؛ العسكري، الاوائل، ص ٦٩؛ النويري، نهاية الارب، ج ٢،

ص ٣٧٥؛ السيوطي، تاريخ، ص ٢٠٠.

(464) المسعودي، التنبيه والاشراف، ص ٢٧٨.

(465) شهاب الدين احمد بن محمد الابشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق: مفيد

محمد قميحة، دار الكتب العلمية، (بيروت: ١٩٨٦) ، ج ٢، ص ٢٨.

(466) ابن الطقطقي، الفخري في الاداب السلطانية، ص ٤٩.

(467) ابن قدامه، الخراج، ص ٥٥.

لكي لا تطلع عليه عيون الجواسيس والخونة^(٤٦٨)، في الحقيقة تأسيس هذا الديوان املته ظروف اتساع الدولة في عهد معاوية وحاجة الخليفة إلى نظام اتصال امن وسري لمتابعه عماله وقواده ورجال دولته^(٤٦٩)، حفاظا على الدولة من الذين يتربصون بها من الداخل والخارج وممن يريد أن يعيث بها لعدة أسباب شأنها شأن أي دولة تجابه وتدافع عن اراضيها وحدودها وتخوض حركات وحروب لتحرير البقاع الإسلامية.

(٤٦٨) محمد شاهين، الدولة الاموية المفترى عليها، ط١، ص٤٣٣.

(٤٦٩) خالد محمد النغيث، مرويّات خلافة معاوية، ص٧٦.

الدواوين العامة

أ- ديوان الرسائل:

وهو من الدواوين المهمة المستحدثة في الإسلام فقد كان الرسول محمد (ﷺ) يكتب رسائله إلى الملوك والأمراء ويدعوهم إلى الإسلام^(٤٧٠)، أما عمل هذا الديوان فهو يعمل على تحرير رسائل الخليفة إلى ولاته في الأمصار وخارجها ويهتم بكتابة العهود والاقطاعات وحفظها فضلا عن رسائل الخليفة الخاصة^(٤٧١)، والجهشيارى لا يحسب ديوانا الا عند حديثه عن الخليفة عبد الملك بن مروان^(٤٧٢)، علما أن هناك كتبة عملوا فيه على عهد الخليفة معاوية مثل عبيد بن اوس الغساني وغيره^(٤٧٣)، ومما نعلمه لقد كان كتاب هذا الديوان يعينون وفق شروط منها الامانة وحفظ العهد لذلك لاعجب أن اغلب من تولى العمل بهذا الديوان يختارون ممن لهم ثقة عالية ومكانه ومقربين من الوالي أو الخليفة أو من سيادة القوم حتى لا تتسرب الاخبار إلى الخارج أن ولي هذا الديوان غيرهم^(٤٧٤)، هناك بعض المواقف والحالات السرية لهذا الديوان سواء كانت بالأمصار أو كانت في العاصمة فعندما كانوا يعينون الكتاب^(٤٧٥)، كان الكتاب يحملون كتاب العهد سرية وليتم الاعلان عنه حتى يصل هذا الكتاب إلى

(470) القلقشندي، صبحي الاعشى في صناعة الانشى، ص ٩١؛ الدوري، النظم الإسلامية،

ص ١٤٧؛ اليوزبكي، دراسات، ص ١١٣.

(471) الاصفهاني، الاغانى، ج ٢، ص ٨٢-٨٣؛ البلاذري، انساب الاشراف، قسم ٤، ج ١، ص ٨٠.

(472) الوزراء والكتاب، ص ٣٥.

(473) الطبري، تاريخ، ج ٦، ص ١٨٠.

(474) ابن خلدون، المقدمة، ص ١٦١؛ ابن حبيب، المحبر، ص ٣٧٧.

(475) ابن خلدون، المقدمة، ص ١٦١.

المكان المطلوب أي أن الكاتب لم يغش سر هذا التعين حيث كانت الكتب تصل بسرية تامة وعندما أراد الخليفة معاوية توليه ابنه لولاية العهد بعث بذلك سرا إلى زياد يستشير^(٤٧٦)، ومن الملاحظ أنه خلال عهد معاوية^(٤٧٧)، كان الكاتب لا يبدأ باسمه بل إلى المكتوب الية على عكس ما كانت الصيغة فاصبحت على سبيل المثال (إلى معاوية بن أبي سفيان من عبدالله بن عمر)^(٤٧٨).

وكان هذا الديوان بمثابة هيئه مشرفه على تحرير رسائل الخليفة واوامره وعهوده ووصاياهم وموائيقه إلى موظفيه في الأقاليم الإسلامية وإلى البلدان الخارجية التي لها علاقة بالدولة الإسلامية ولا بد من ذكر أن وسيلة الرسائل في الاتصال المباشر بالولاة وقادة الجند والقضاء وزعماء القبائل كانت تابعة للخليفة لمعاوية بن أبي سفيان وكانت تجري تحت اشرافه المباشر^(٤٧٩)، كان كاتب الرسائل (عبيد بن اوس الغساني)^(٤٨٠)، وسليمان بن سعد^(٤٨١)،

⁽⁴⁷⁶⁾ الطبري، تاريخ، ج ٥، ص ٣٠٢-٣٠٣.

⁽⁴⁷⁷⁾ ابن سعد، الطبقات، ج ١٠، ص ١٢٥.

⁽⁴⁷⁸⁾ الجهشيارى، الوزراء والكتاب، ص ٢٥.

⁽⁴⁷⁹⁾ عبد اللطيف العاني، ادارة بلاد الشام في العهدين الراشدي والاموي، ص ١٢٤.

⁽⁴⁸⁰⁾ ابن خياط، تاريخ، ص ٢١٨.

⁽⁴⁸¹⁾ سليمان بن سعد: هو اول مسلم تولى الدواوين كلها بعد موت سرجون بن منصور

الرومي وحولها الى اللغة العربية في خلافة عبدالملك بن مروان. الشافعي، تاريخ مدينة

دمشق، ج ٢٢، ص ٣٣١.

وعبيد الله بن نصر^(٤٨٢)، وكتب للمغيرة بن شعبه ابن خنيس^(٤٨٣)، كما كتب لزياد بن أبي سفيان عبد الله بن أبي بكرة وجبير بن حية مرداس^(٤٨٤).

ويذكر ابن خلدون بان وظيفة ديوان الرسائل غير ضرورية في كثير من الدول لاستغناء الكثير عنها كما في الدول العريقة في البداوة الذي لم يأخذها تهذيب الحضارة ولا استحكام الصنائع وانما اكد الحاجة اليها في الدول الإسلامية شأن اللسان العربي والبلاغة^(٤٨٥)، وكان كتاب الرسائل يعدون من أهم الكتاب في عهد الدولة الأموية^(٤٨٦).

ب - ديوان الطراز:

عندما فتح المسلمون بلاد فارس والروم واتسع ملكهم وعظمت دولتهم اتخذوا الطراز^(٤٨٧)، لكنهم لم يستحسنوا اتخاذ الصور بسبب تحريمها في الإسلام واستعاضوا عنها بكتابه أسمائهم وبكلمات أخرى تجري مجرى الفال والدعاء وقد بنى الخلفاء في دورهم دورا للنسيج وكان القائم عليها وعلى امرها يسمى (صاحب الطراز) وكان ينظر في أمور الصياغ والحاكة ويجري عليهم ارزاقهم ويشرف على اعمالهم وقد بلغ هذا الدور عظمته في أيام الامويين

⁽⁴⁸²⁾ الطبري، تاريخ، ج ٦، ص ١٨٠؛ المسعودي، التنبيه والاشراف، ص ٢٧٧

⁽⁴⁸³⁾ ابن خنيس: هو ابن خنيس بن حارثة بن لوذان بن عبدود بن الخزرج بن ساعدة كتب

ديوان الرسائل للمغيرة. ينظر: ابن حبيب، المحبر، ج ١، ص ٢٧٠

⁽⁴⁸⁴⁾ جبير بن حية مرداس: هو جبير بن حية الثقفي احد كتبة ديوان الرسائل. ينظر: أبي

الحسن علي بن عمر الدار قطني، ذكر اسماء التابعين ومن بعدهم، مؤسسة الكتب الثقافية

(بيروت: ١٩٨٥)، ج ١، ص ٩٧.

⁽⁴⁸⁵⁾ المقدمة، ص ٢٤٦

⁽⁴⁸⁶⁾ حسن وعلي ابراهيم حسن، النظم الإسلامية، ص ١٥٦.

⁽⁴⁸⁷⁾ المرجع نفسه، ص ١٨٨-١٨٩.

والعباسيين^(٤٨٨)، ولابد من ذكر أن المصادر المتيسرة لاتشير بصراحة إلى بداية انشاء هذا الديوان باستثناء اشارة وردت عند الجهشيارى يذكر فيها أن جناده بن أبي خالد كان يكتب لهشام بن عبدالمك سنه ١٠٥هـ على الطراز وان اسمه كان موجودا على الثياب^(٤٨٩)، ولقد وردت عند الدوري اشارة إلى أن انشاء هذا الديوان كان على عهد الخليفة عبدالمك بن مروان^(٤٩٠)، وان معاوية بن أبي سفيان كان من المهتمين بمظاهر الابهة نتيجة تطلعه إلى بلاط الروم في بلاد الشام حيث الملابس والازياء الخاصة وبالتأكيد اهتم بملبسة وازياء رجالات دولته^(٤٩١)، وأشار اليعقوبى عند حديثه عن معاوية بن أبي سفيان قائلاً: وعمل له الطراز باليمن ومصر والاسكندرية والرها^(٤٩٢)، وعلى ما يبدو أن انشاء هذا الديوان كان على عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان ثم تطور على يد الخلفاء من بعده إلى مراحل متقدمه على يد الخليفة سليمان بن عبدالمك^(٤٩٣).

كان الطراز من ابهة المك والسلطان ومذاهب الدول أن ترسم أسماؤهم أو علامات تختص بهم في طراز اثوابهم المعدة للباسهم من الحرير والديباج أو الابرسيم ويكتب على الثوب من نسيج الثوب أو بخيط من الذهب أو ما يخالف لون ذلك الثوب من الخيوط الملونة من غير الذهب على ما يحكه الصناع في تقدير ذلك ووضعه في صناعة نسجهم^(٤٩٤)، وتطرز الثياب المملوكية بذلك

⁽⁴⁸⁸⁾ من كتب المقال وعنوانه، دائرة المعارف الإسلامية، مادة الطراز، م ١٥، ص ١٢٢.

⁽⁴⁸⁹⁾ الوزراء والكتاب، ص ٦٠.

⁽⁴⁹⁰⁾ النظم الإسلامية، ص ١٤٨.

⁽⁴⁹¹⁾ النويرى، نهاية الارب، ج ٢٠، ص ٣٧١.

⁽⁴⁹²⁾ تاريخ اليعقوبى، ص ٣٧٨.

⁽⁴⁹³⁾ الجهشيارى، الوزراء والكتاب، ص ٦٠.

⁽⁴⁹⁴⁾ ابن خلدون، العبر، ص ٢٢٢.

الطراز قصدا للتتويه بلباسها من السلطان فمن دونه^(٤٩٥)، وديوان الطراز هو الديوان المسئول عن معامل الطراز التي تنتج الملابس والازياء الرسمية وازياء قادة الجيش وشارات الدولة وله هيئه كبيرة من العمال والموظفين^(٤٩٦)، لقد بداء الناس يتطلعون إلى حياة جديدة يشوبها الترف والبذخ وبداءوا يقدمون على اجود وافخر انواع الملابس^(٤٩٧)، وعلى مايبدوا أن انشاء هذا الديوان كان على عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان^(٤٩٨)، ثم تطور على يد الخلفاء من بعده كعبدالمك بن مروان وهشام بن عبد الملك ليصل إلى مراحل متقدمه على يد سليمان بن عبدالمك^(٤٩٩)، ذكرنا بأنه مهمة الاشراف على هذا الديوان تتم من قبل موظف يسمى صاحب الطراز وكانت وظيفته القيام على أمور الصباغة والحاكه واجراء الرواتب والاشراف على المنتوجات^(٥٠٠)، وكانت هناك معامل لهذا الديوان منها معمل يشرف على نسيج الملابس ومعمل يشرف على الشارات الرسمية ومعمل اخر كان يختص بالشارات والاعلام^(٥٠١).

إضافة إلى ذلك كان هناك عدد من الدواوين استخدمت خلال عهد الدولة الأموية بعد خلافة معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه) والتي لايمكن أن نغفل عنها منها:-

(٤٩٥) البيوزبكي، دراسات، ص ١١٥؛ صبحي الصالح، النظم الإسلامية، ص ٣١٥.

(٤٩٦) علي حسن الخربوطلي، الحضارة العربية الإسلامية، (مصر: ١٩٥٧)، ص ١٥٩.

(٤٩٧) محب محمود، معاوية بن أبي سفيان، ص ١٦٣.

(٤٩٨) المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ١٨٤.

(٤٩٩) الدوري، النظم الإسلامية، ص ١٤٨.

(٥٠٠) دائرة المعارف الإسلامية، قسم الطراز، م ١٥، ص ١٢٢.

(٥٠١) الدوري، النظم الإسلامية، ص ١٩٧.

أ- ديوان الصدقة:

قال تعالى ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾^(٥٠٢)، وقال الرسول محمد (ﷺ) ((يد المعطي العليا خير وأبدأ بمن تعول)) بهذا الحديث حثنا الرسول محمد (ﷺ) على الصدقة^(٥٠٣)، وذكر ابن مقاتل أن الامساك عن الصدقة تهلكة^(٥٠٤)، لقد كان هذا الديوان ينظر في موارد الزكاة وموارد الصدقات وطريقة توزيعها بين مستحقيها من العامة وفق ما جاء في القران والسنة وأشار الجهشيارى بان بداية هذا الديوان وانشائه كان في خلافة هشام بن عبد الملك^(٥٠٥).

ب- ديوان النفقات:

يعد هذا الديوان من الدواوين المهمة التي انشئت في عهد الدولة الأموية لقد كان لهذا الديوان مجالس وكانت هذه المجالس تقسم على حسب ما يجري فيه من الأعمال وله مجلس منفرد ويسمى مجلس الجاري ويفرد العمل فيه^(٥٠٦)، وهذا الديوان كان يصرف منه إلى الدواوين الأخرى ويقابل الان بوزارة المالية^(٥٠٧)، لقد كان هذا الديوان ينظر في كل ما يخص الانفاق سواء على تجهيز الجيش أو غيره أي انه ينظر في المصروفات كافة ويظهر انه كان

(502) سورة البقرة، الآية: ١٩٥.

(503) أبي الغيض محمد بن ياسين الفاداني، العجالة في الاحاديث المسلسلة، ط٢، دار البصائر (دمشق: ١٩٨٥)، ج٢، ص٨٤.

(504) أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي، تفسير مقاتل، تحقيق: احمد فريد، ط١، (بيروت: ٢٠٠٣)، ج١، ص١٠٣.

(505) قدامه، الخراج، ج٢، ص٣٣.

(506) النويري، نهاية الارب، ج١٥، ص١٢٦.

(507) الوزراء والكتاب، ص٣٥.

يتصل بعمله ببيت المال اتصالاً وثيقاً ويقول الجهشيارى والذي ذكره أول مرة في خلافة سليمان بن عبد الملك " كان يكتب على النفقات وبيوت الأموال والخزائن والرقائق " (٥٠٨).

ج- ديوان المستغلات:

وكان هذا الديوان يختص بالنظر في إدارة أموال الدولة بما يخص الأموال الغير منقولة من ابنية وعمارات وحوانيت وغيرها (٥٠٩).

لقد ورث العباسيون هذا التراث المهم الذي حدث خلال عهد دولة بني أمية وقاموا بتطويره بما يوافقهم ويوافق ظروفهم وحاجاتهم وزادوه في المركزية أضافه إلى ذلك قاموا باستحداث دواوين جديدة^(٥١٠)، نظم العباسيون السجلات في دفاتر بدلا من الصحف المتفرقة لحفظها^(٥١١)، ذكر اليعقوبي في حديثه عن بغداد وبنائها في زمن المنصور فبعد أن أشار إلى بيت المال وخزانه السلاح يذكر ديوان الرسائل وديوان الخراج وديوان الخاتم وديوان الجند وديوان النفقات وديوان الاحشام^(٥١٢)، وذكر ديوان الحوائج كما وذكر اليعقوبي في كتاب اخر ديوان الصدقات وذكر أن مهمة ديوان الحوائج هي جمع الرقاع وتقديمها إلى الخليفة ومهمة ديوان الصدقات هي النظر في زكاة المواشي على وجه

(٥٠٨) الدوري، النظم الإسلامية، ص ١٩٦

(٥٠٩) الدوري، النظم الإسلامية، ص ١٩٦-١٩٧.

(٥١٠) الدوري، النظم الإسلامية، ص ١٩٨.

(٥١١) اليعقوبي، تاريخ، ص ٩.

(٥١٢) الاحشام: وهو ديوان الذين في خدمه البريد. ينظر: ، تاريخ اليعقوبي، ص ٩.

الخصوص^(٥١٣)، وقد احدث الخليفة المنصور ديوانا مؤقتا سجل فيه أسماء من صودرت اموالهم مع مقدار ما صودروا عليه وهو ديوان المصادرة ولعله كان في زمن الخليفة المهدي^(٥١٤)، وجاء الخليفة المهدي الذي كانت فترة عهده فترة هدوء نسبي فتوحدت فيها تنظيمات الدواوين وقويت مراقبة اعمالها وحدث هذا الخليفة دواوين الازمة وقويت أعمال الدواوين الكبيرة ومراقبة الناحية المالية فيها^(٥١٥)، ويقول الطبري " أول من عمل ديوان الزمام عمر بن يزيد في خلافة المهدي وذلك لما جمعت له الدواوين فتفكر فإذا هو لا يضبطها الا بزمام يكون له على كل ديوان فاتخذ دواوين الازمة وولى كل ديوان من هذه الدواوين رجلا^(٥١٦)، وسار الخليفة المهدي خطوة اخرى إلى الامام بالاتجاه المركزي قام باستحداث ديوان اخر يقوم بالاشراف على دواوين الازمة ونظم عملها وانشأ المهدي ديوانا اخر جديدا للنظر في شكاوى الرعية والولاية وحمايتهم من التعدي في الجباية وهو ديوان النظر في المظالم وكان يشرف عليها بنفسه وكان يترك مع القضاة وحدة عند النظر فيها^(٥١٧)، أما في خلافة الرشيد نجد اشارة إلى ديوان خاص يسمى ديوان الصوافي مهمته النظر في أمور اراضي الخليفة^(٥١٨)،

⁽⁵¹³⁾ فتوح البلدان، ص ٩

⁽⁵¹⁴⁾ اليعقوبي، تاريخ، ج ٣، ص ١٢٧؛ ابن الطقطقي، الفخري في الاداب السلطانية، ص ٧٥.

⁽⁵¹⁵⁾ الجهشيارى، الوزراء والكتاب، ص ١٤٦.

⁽⁵¹⁶⁾ تاريخ الامم، ج ١، ص ١١.

⁽⁵¹⁷⁾ الجهشيارى، الوزراء والكتاب، ص ١٦٨.

⁽⁵¹⁸⁾ الدوري، النظم الإسلامية، ص ٢٠٠.

واستحدث ديوان الضياع وكان يختص بالنظر في إدارة ضياع الخليفة وضياع أسرته^(٥١٩).

أما في زمن الخليفة المأمون استحدث ديوان آخر جديد وهو ديوان (الجهيزة) وعلى ما يظهر انه كان شعبة من بيت المال ومهمته تدقيق حسابات بيت المال وتدقيق نوعية موارد^(٥٢٠)، ويشير اليعقوبي في حديثه عن الخليفة المتوكل ويذكر دواوينه (ديوان الموالي والغلمان) وكانت مهمة هذا الديوان هي النظر في شؤون الخدم والموالي المتصلين بالبلاط وكذلك كان يسمى ديوان الجند والشاكرية إشارة إلى الأتباع الأتراك ويذكر ديوان (زمام النفقات)^(٥٢١)، هذه لمحة عما استحدث من الدواوين حتى نهاية العصر العباسي الأول الذي ينتهي بوفاة الخليفة المأمون.

أما في العصر العباسي الثاني كانت الدواوين المركزية في أول الأمر دواوين صغيرة ففي زمن الخليفة الرشيد كان بالإضافة إلى ديوان الخراج المركزي ديوان للخراج في البصرة والكوفة ومصر وخراسان^(٥٢٢)، وجمعت كلها في خلافة المعتضد في ديوان واحد سمي (بديوان الدار) أو (الديوان الكبير)^(٥٢٣)، ووجد (الديوان السامي) وكان هذا الديوان أصل كل الدواوين

⁽⁵¹⁹⁾ الجهشيارى، الوزراء والكتاب، ص ٢٧٧.

⁽⁵²⁰⁾ التتوخي، الفرج بعد الشدة، (القاهرة: ١٩٠٤)، ج ١، ص ٣٩-٤٠.

⁽⁵²¹⁾ فتوح البلدان، ص ٢٣؛ wite - p.61 les pays par yaqubi

⁽⁵²²⁾ الجهشيارى، الوزراء والكتاب، ص ١٢٤.

⁽⁵²³⁾ الدوري، النظم الإسلامية، ص ٢٠٣.

ومرجعها. اشرف على الغلال والغنائم وأعشارها وأخماسها والفيء واتخذ أصنافا عديدة وكان عليه حرسا^(٥٢٤).

إضافة إلى ذلك كان هناك ديوان الخراج وديوان النفقات وديوان البريد^(٥٢٥)، استعملوا فيها البغال والحمير واستعمل البريد في الحالات الملحة لنقل المسافرين وكان أصحاب البريد بمثابة عيون الخليفة^(٥٢٦)، وكذلك استخدم الحمام الزاجل في البريد لسرعته وذكر بان الخليفة المهدي اعتنى باستعماله^(٥٢٧)، وهناك الكثير من التفاصيل عن الدواوين وجدنا بأنه لاداعي لذكرها لأنها نظريات ولأنها ذات أهمية مؤقتة.

⁽⁵²⁴⁾ الخوارزمي، مفاتيح العلوم، تحقيق: فان فلوتن ليدن، (القاهرة: ١٩٣٠)، ص ٥٤-٥٦.

⁽⁵²⁵⁾ القلقشندي، صبحي الأعشى في صناعة الإنشاء، ج ١٤، ص ٣٦٦.

⁽⁵²⁶⁾ الدوري، النظم الإسلامية، ص ٢٠٧.

⁽⁵²⁷⁾ القلقشندي، صبحي الأعشى، ج ١٤، ص ٣٩٠.

الخاتمة

لقد كان للدولة الأموية صدى واسع وكبير حيث أثرت بصورة مباشرة على حياة المجتمع العربي ونقلته نقلة حضارية وفكرية وسياسية واقتصادية بلغت مداها الواسع في عموم البلاد التي طال أيدي الأمويين. وكان للدواوين صدى مهم على عدة مستويات لما قدمته من خدمات للدولة الأموية وخلفائها خصوصا والناس عموما.

وقد توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج أبرزها :-

أولا : إن مفهوم الديوان كان موجودا منذ عهد الرسول محمد (ﷺ) والخلفاء الراشدون (رضي الله عنهم) فقد عملا على تنظيم أمورهم المادية وتوزيع الأعطيات والغنائم وكان الرسول محمد (ﷺ) يتعامل بالبريد خلال مراسلاته مع بعض الملوك وكان يستخدم الختم وكذلك الخلفاء الراشدون (رضي الله عنهم) من بعده.

ثانيا : نشأت هذه الدواوين لسبب رئيسي وهو حاجة العرب إلى التنظيم العسكري والمالي والإداري بسبب اتساع حركات التحرير والفتوحات في بلدان مختلفة مما در عليهم أرباحا كثيرة وكان لابد من وجود ديوان يحتويها وينظمها.

ثالثا: إن الديوان بلغ درجة كبيرة من الأهمية في عهد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ويذكر أن عمر (رضي الله عنه) أول من أنشأ الديوان فقد قام بالاهتمام به وتنظيمه تنظيمًا دقيقًا ونظم إدارته وعين عليه عمالا لضبطه وإحصاءاته وسار على نهجه الخلفاء الراشدون (رضي الله عنهم) من بعده دون تغيير أو تحريف.

رابعاً : إن الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان كان من دهاء العرب وعظمائهم استطاع أن يبني بجهوده دولة قوية صدت كيد الأعداء ورفعت راية الجهاد ردحا من الزمن. إن كل ما كان في معاوية بن أبي سفيان من حكمة ودهاء كان سببه صحبته لرسول الله محمد (ﷺ) وملازمته له حيث تعلم منه الكثير مما جعله يملك حكمة ودراية في مختلف الأمور.

خامساً: قام معاوية بتنظيم جوهرى بلغ مداه الواسع وأحدث صدى حيث عمل على تطوير الدواوين وتنويعها حسب الحاجة في المجالات السياسية والعسكرية والإدارية والمالية وهذا العمل لم يكن معهودا في زمن الصحابة من قبله.

سادساً : إن نظام العسس في عهد الرسول (ﷺ) ونظام الشرطة في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان ارتبط بالدواوين العسكرية باعتباره جزءا لا يتجزأ منها فهو مكمل لها حيث حافظ على أمن البلد وشارك مع الجيش في العديد من المعارك والمهام .

سابعاً: نظام العيون والجواسيس أو مايسمى (بالاستخبارات العسكرية) أستخدم هذا النظام ضمن النطاق العسكري فهو أيضا مكمل لديوان الجند لأنه مرتبط به ارتباطا وثيقا باعتباره عين الخليفة والذي كان يقوم بجمع المعلومات وتقديمها للخليفة أو القائد لتحريك الجيش ومعرفة نوايا الأعداء وقدراتهم .

ثامناً : لقد استفاد من الدواوين الأموية العباسيون الذين جاءوا بعد نهاية دولة بني أمية وأبقوا الدواوين على حالها وقاموا باستحداث عدد من الدواوين الأخرى بما يوافق حاجة المجتمع آنذاك.

تاسعا: إن الدواوين كانت ضبط لأمر الدولة وعلى كافة الأصعدة السياسية والفكرية والحضارية وهي تعادل في وقتنا الحالي الوزارات فلا يمكن أن تقوم دولة بلا وزارات وبلا حساب وإن قامت فإنها لاتستمر .

نظرة في بعض المصادر والمراجع

لقد اعتمدنا المصادر العربية الأصلية وأخرجناها من بطون أمهات الكتب اخذين منها ما يتصف بالموضوعية والعلمية والحيادية لأعداد هذا البحث ومنها.

١. كتاب تاريخ خليفة ابن خياط الليثي العصفري (ت ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م) ويعد هذا الكتاب من أعمدة المصادر التاريخية ومن أهمها تناولناه في الفصل الأول حيث أرفدنا بمعلومات قيمة عن حياة معاوية وعن ابرز من تولى الأعمال الإدارية في عهده وتناول سيرة الخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم) والولاة الذين كانوا على بيت المال وبرز من تولى الدواوين في الدولة الأموية واستفدنا منه في الفصل الثاني والثالث حيث أرفدنا بعدد من المعلومات القيمة التي لاغنى عنها واعتبرناه من المصادر المهمة التي أفادتنا في مجال الدراسة .

٢. ومن المصادر المهمة التي اعتمدناها (فتوح البلدان) لاحمد بن يحيى بن جابر البلاذري^(٥٢٨)، (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م) ويعد هذا المصدر من المصادر النفيسة التي أفادت البحث بكم من المعلومات القيمة واستفدنا منه في الفصل الأول والثاني والثالث تناول معلومات عن عهد الرسول محمد (ﷺ) فيما يخص ديوان الخاتم وكيف كان على عهد دولة الرسول (ﷺ) والتطورات التي حدثت عليه عهد الخلفاء الراشدين مروراً بعهد الدولة الأموية وتبين الأسباب التي كانت وراء استخدام الديوان والغاية منه وتناول هذا المصدر ابرز من تولى الأعمال الإدارية وبين السلطة التي كان يتمتع بها الكتاب وأهميتهم ومكانتهم وذكر كيف كانت توزع الأعطيات على أفراد الجيش أضافه لذلك أشار لعدد المقاتلين آنذاك في

(⁵²⁸) ابن خياط ، تاريخ خليفة، ط ١، (النجف: ١٩٦٧)، ص ٣٩، ص ٤٧.

البصرة ٨٠ ألف مقاتل وفي الكوفة ٦٠ ألف مقاتل وما لمسناه من هذا الكتاب أن الباحث يجد صعوبة في جمع معلوماته^(٥٢٩).

٣. ومن المصادر الأخرى التي لا تقل أهمية عن من سبقها (تاريخ اليعقوبي) لأحمد بن أبي يعقوب (ت ٢٩٢هـ/٩٠٥م) وهذا الكتاب من المصادر المهمة التي استعنا بها في مجال البحث ولابد لنا إعطاء نبذة عنه تناول هذا الكتاب سيرة عمر (رضي الله عنه) وبرز أعماله وذكر فيه أن عمر (رضي الله عنه) أول من استحدث الديوان في الدولة الإسلامية وبين كيف كانت طريقة العمل به وتطرق إلى حياة الخليفة معاوية وعن سيرته قبل وبعد الإسلام وركز على الجوانب الإدارية وذكر العمال الذين عملوا بالدواوين وكيف اختارهم من قبل الخليفة وشرح شرحا مفصلا عن ديوان الجند إضافة إلى الأحداث التي حدثت زمن الدولة الأموية وقد استفدنا منه بكافة فصول البحث واعتبرناه من أهم الكتب الذي وضحت لنا عدد من المعلومات استخدمنا أجزاء الأول والثاني والعشرين ووضح لنا استنتاجات كثيرة خصوصا بفترة انتقال الخليفة من الحسن (رضي الله عنه) إلى معاوية (رضي الله عنه)^(٥٣٠).

٤. من المصادر التي يجب أن لا نغفل عنها كتاب (تاريخ الرسل الأمم والملوك) لمحمد جرير الطبري، (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م) ويعد من المصادر الجيدة التي اعتمدنا عليها تناول ديوان الجند وكيفيه تنظيمه وكيف كانت تسجل فيه الأسماء والأعطيات وذكر ديوان الخراج وكيف تعاملت الدولة معه وأشار إلى ديوان البريد في عهد عمر (رضي الله عنه) وذكر أبرز من تولى رئاسة الدواوين إضافة إلى معلومات عن الدولة الأموية وصفات الخليفة

⁽⁵²⁹⁾ البلاذري ، فتوح البلدان، مكتبة النهضة ، (بيروت: ١٩٧٩)، ج ١، ص ٥٦ .

⁽⁵³⁰⁾ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي، ج ١، ج ٢، ج ٢٠، (بيروت: د.ت)، ص ٢٣، ص ٤٤،

معاوية وكيفية وصوله للخلافة وابرز أعماله الإدارية واهم التطورات التي حصلت في الإدارة في عهده وكيف انعكست على الدولة بصورة ايجابية (٥٣١).

٥. ومن المصادر التاريخية المهمة كتاب (مروج الذهب ومعادن الجوهر) لابو الحسن علي بن الحسن المسعودي، (ت ٣٤٥هـ/ ٩٥٦م) والذي استفدنا منه في الفصل الثاني والثالث والذي أمدنا بمعلومات عن ديوان الطراز وذكر بان الخليفة معاوية هو أول من استحدث هذا الديوان وقام بإنشائه وتحدث هذا الكتاب عن أهمية ديوان الطراز وذكر كذلك بعض من جهود معاوية الإدارية والسياسية وكيف استطاع أن يحافظ على وحدة وتماسك الأمة وتحدث عن أواخر أيام معاوية وكيف كان حالة وكيف أرهاقه السياسة وأثقلت كاهله وذكر الدواوين وكتابها وكيف كان الكتاب ذوي شان كبير ومحط تقدير من الخليفة والناس وتحدث عن الصفات الواجبة لكتاب الديوان وذكر أسمائهم خلال عهد الدولة الأموية (٥٣٢).

٦. لابد لنا أن نتطرق إلى احد المصادر المهمة وهو (الأحكام السلطانية والولايات الدينية) لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي، (ت ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م) (٥٣٣) وهو احد المصادر التي أمدتنا بعدد من المعلومات التي كانت لنا سراجا ينير فصول البحث تحدث هذا الكتاب فيما يخص الخراج وفسر معناه وذكر الدواوين وأول من قام بإدخالها على الدولة العربية الإسلامية وتحدث عن أهمية التطورات الإدارية على مستوى رقي الدولة داخليا وخارجيا أضافه إلى ذكر عدد ممن عملوا

(⁵³¹) الطبري ، تاريخ الطبري، (مصر: ١٩٦٨)، ج ١، ص ٥٦.

(⁵³²) المسعودي ، مروج الذهب، (بيروت: ١٩٨١)، ج ٣، ص ٥٥.

(⁵³³) المارودي، الاحكام السلطانية، (بغداد: ١٩٨٩)، ص ١١٤.

بالدواوين في عهد الدولة الأموية وأوضح الحقوق التي تؤخذ بنظر الاعتبار خلال التعامل مع هذه الوزارات الإدارية أي الدواوين من قبل السلطان أو الموظفين القائمين على أمره (٥٣٤).

٧. ومن المصادر الأخرى المهمة التي وجب علينا ذكرها كتاب (تاريخ الخلفاء) لجلال الدين بن عبدالرحمن السيوطي، (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م) والذي وجدنا فيه عدد من المعلومات فيما يخص الخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم) وذكر فيه أن أبو بكر (رضي الله عنه) أول من اتخذ بيت المال ومرورا بالتطورات التي حصلت لمن جاء من بعده من الخلفاء وتحدث عن كيفية توزيع العطاء والصدقات والزكاة وذكر فيه عدد غير قليل من المعلومات المهمة في زمن الدولة الأموية وذكر فيه نسب الخليفة معاوية وإسلامه وكيف اتخذ الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) معاوية كاتباً له وذكر صفاته وتسلمه الشام إلى أن وصل إلى دفة الخلافة ووردت في هذا المصدر المؤسسات الإدارية في عهد معاوية وأنه أول من طور ديوان الخاتم ذاكراً للأسباب وأشار إلى الدواوين الأخرى وبرز متوليها خلال عهد دولة بني أمية وأفادنا في البحث حيث أضاف لنا جمالية حوتها سطورنا (٥٣٥).

٨. ومن المراجع المهمة التي اعتمدناها كتاب (النظم الإسلامية) هذا المرجع الذي أفادنا بصورة جلية وواضحة من خلال كتابتنا للبحث فقد أعطى صورة مهمة وواضحة للدواوين خلال فترة العهد الأموي. وبين عمل كلا منها وذكر أهم من كان عليها من العمال وما كان يقوم به كل ديوان (٥٣٦).

(٥٣٤) (بغداد: ١٩٨٩).

(٥٣٥) تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، (د.ن: د.ت).

(٥٣٦) حسن ابراهيم حسن، ط ٢، (مصر: ١٩٣٩).

وفي الختام اسأل الله أن يتقبل هذا العمل فإن أصبت فلي أجران
وان أخطأت فالأجر لمن اجتهد والله من وراء القصد.

المؤلف

هذا الكتاب

ومن هنا جاءت دراستنا للخليفة معاوية بن أبي سفيان (سلطان) وتحديدًا لأهم الجوانب الإدارية والحضارية، هذا الخليفة الأموي الذي قاد الدولة العربية الإسلامية لما يقرب العشرون عاما مركزين على أهم الجوانب الإدارية تاركين المجال للباحثين ليكملوا ما بدأه وليكتبوا عن جوانب مهمة كالجوانب الفكرية أو الأعمال العمرانية أو الحضارية والذي دفعني لاختيار هذا الموضوع هو الاهتمام بأحد خلفاء الرسول (سلطان) والاهتمام بالجوانب الإدارية على عهده والافتقار إلى وجود دراسة تبحث أعماله الإدارية رغم أنها لم تكن تخفى على المؤرخين المتقدمين فقد تناولتها أقلامهم وحوت سطورهم أوراقهم في عهد الرسول محمد (سلطان) تطلب الكيان السياسي نفقات تصرف على الأفراد وتجهيز المقاتلة للدفاع عن الإسلام وقد أوجد الرسول محمد (سلطان) نظام الغنائم وتقسيمها حسب أصول الدين لتنظيم الأمور المعاشية والعسكرية والإدارية وقد سار على هذا النهج الخلفاء الراشدون (رضي الله عنهم) وأوجد أبو بكر الصديق (سلطان) بيت المال والذي منه كان يصرف على المقاتلة والأمور الاجتماعية.

Bibliotheca Alexandrina



1502346



I.S.B.N978-977-276-811-3



6 222008 910622